منشورات جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

قسنطينة

العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة

عدد 46 - ديسمبر 2016

تمّ الطبع بـ دار بهاء الدين
للتنشر والتوزيع

ضوابط النشر

1. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية التي تصدرها جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 هي مجلة مفتوحة على كل تخصصات البحث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. تنشر المجلة المقالات التي تعنى بالقضايا ذات الطابع التاريخي، الفلسفي، السوسولوجي، الاقتصادي وكذا بعلم النفس وعلم المكتبات ... وهي موجهة لكل الأساتذة والباحثين في هذه المجالات.
2. تنشر المجلة الدراسات والأعمال البحثية في ثلاث لغات: العربية والفرنسية والإنجليزية. ينبغي أن يكون كل مقال مرفقا بملخص محرر في هذه اللغات الثلاث (من 8 إلى 10 أسطر كحد أقصى متبوعا بكلمات مفتاحية من 3 إلى 5 كلمات. حجم الخط 9).
3. ينبغي أن يكون المقال جديدا وألا يكون قد أرسل إلى جهات أخرى للنشر.
4. عند إيداع المقال نهائيا يتوجب على صاحبه أن يرفقه بنسخة من سيرته الذاتية لا تتجاوز الصفحتين يوجز فيها مساره ومحاور أبحاثه.
5. ينبغي أن يكون نص المقال محررا حسب القواعد المنهجية الأكاديمية (هيكل العرض، تمهيد، فقرات مرقمة، خلاصة، قائمة ببليوغرافية).
6. ينبغي أن يكون نص المقال مطابقا للقواعد المعتمدة في الإشارة إلى المراجع والإحالات أسفل الصفحة. ينبغي في الإشارة إلى المراجع - احترام المعايير الصادرة عن APA (American Psychological Association) وهي إيراد بين قوسين لقب المؤلف. تاريخ نشر المرجع المذكور والصفحة، داخل النص. مثال (فدّاش 1980: 55) كما يتوجب وضع قائمة تتضمن كل المراجع المذكورة في النص في آخر المقال.
7. وللضرورة التقنية ينبغي وضع الجداول والصور والتصاميم والخرائط ... في ملف منفصل مع الالتزام بالإشارة إلى مصادر ومراجع تلك الوثائق: ترقيم الوثائق (يجب أن يكون دائما بالأرقام العربية) عنوان الوثيقة، المرجع ...
8. ينبغي أن يكون نص المقال في حدود ما بين 3000 إلى 6000 كلمة أي من 8 إلى 20 صفحة كحد أقصى بما في ذلك الإحالات والصور وقائمة المراجع.
9. في المقالات المحررة باللغة العربية ينبغي أن تكون الكتابة بخط simplified Arabic حجم 16 في المتن و12 في الإحالات. وفي المقالات المحررة باللغة الأجنبية تكون الكتابة بخط Times New Roman حجم 12 في المتن و10 في الإحالات.
10. يخضع المقال لتحكيم محايد من قبل خبيرين متخصصين ويتم إشعار صاحبه بنتيجة التحكيم، وإذا كان المقال مقبولا بتحفظ ينبغي على صاحبه أن يقوم بالتصحیحات المطلوبة من قبل المقيّمين في الأجل المطلوبة.
11. لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تكون نتائج التحكيم محل طعن أو اعتراض.
12. القرار النهائي لنشر المقال من اختصاص هيئة التحرير.
13. التحليل والتعليق ومختلف الآراء الواردة في المقالات لا تلزم إلا صاحبها.
14. ترسل المقالات في نسخة إلكترونية بصيغة Word إلى عنوان المجلة revueuc2@univ-constantine2.dz

مدير المجلة

أ/د محمد الهادي لطرش

رئيس جامعة عبد الحميد مهري

- قسنطينة 2

رئيس التحرير

أ/د فاطمة الزهراء قشي

guechif@gmail.com

هيئة التحرير

brahamia@gmail.com

أ/د إبراهيم براهيمية

karima.benhassine@yahoo.fr

د. كريمة بن حسين

benkara_y@yahoo.fr

د. ياسين بن قارة

jalil_bouda@yahoo.com

د. جليل بوداح

bouderbane.azedine@yahoo.fr

أ/د عز الدين بودريان

djedidi@mail.usa.com

أ/د محمد جديدي

fhamadi47@gmail.com

د. فتيحة حمادي

hireche.farida@hotmail.fr

أ/د. فريدة حيرش - غيوة

saidounid@hotmail.com

أ/د جمال الدين سعيدوني

fathou_ab@yahoo.fr

د. فتيحة عباسي - بن الشيخ لفقون

rabahl1@yahoo.fr

أ/د. رايح العايب

guechif@gmail.com

أ/د فاطمة الزهراء قشي

lar_aggoun@yahoo.fr

أ/د محمد العربي عقون

benyahiarachidauniv2@gmail.com

د. رشيدة مشيش - بن يحي

الأمانة العلمية للمجلة

khadidja.boukhalfa@gmail.com

د. خديجة بوخالفة

boulekdam.chaouki@yahoo.fr

شوقي بولقدام

zemyasmina@yahoo.fr

يسمينة زمولي

المراسلة

مديرية النشر والتنشيط العلمي، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 ، 25000 الجزائر.

هاتف / فاكس: +213 (0)31.82.45.67 / بريد إلكتروني: revueuc2@univ-constantine2.dz

الهيئة العلمية

- محمد أمين، جامعة محمد بن عبد الله - فاس
سعيد أوزرفارلي، جامعة يلديز - اسطنبول
فاطمة أوصديق، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2
محمد الشريف بلميهوب، المدرسة الوطنية للإدارة - الجزائر
حورية بن بركات، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
محمد بن بوزيان، جامعة تلمسان
إريك بوتان، جامعة تولون - فرنسا
نورة بوحناش، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
محمود بوسنة، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2
مبارك بوعشة، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
عبد الرحمن بوقاف، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2
سلوى بولبينة، جامعة دوني ديدرو - باريس 7
عبد الحكيم بوهروم، جامعة باجي مختار - عنابة
فتحي التريكي، أستاذ متميز - صفاقس
عبلة رواق، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
جوسلين دخلية، المدرسة العليا للدراسات الاجتماعية - باريس
ناصر الدين سعيدوني، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر 2
سعيد سوام، جامعة باريس الغربية
حلومة شريف، جامعة وهران 2
فؤاد شيحة، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
يسرى الصغير، جامعة منوبة - تونس
عيسى قادري، جامعة تور - فرنسا
بوبة مجاني، جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
محمد مصباحي، جامعة محمد الخامس - الرباط
لورانت موكيالي، جامعة اكس مرسيليا
عبد الحميد هنية، مخبر دراسات مغاربية - تونس

الفهرس

- 07..... الافتتاحية -
د. حدة وحيدة سايل ود. أحمد فاضلي
- إستراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لدى المدمنين على
11..... المخدرات
د.سلطانة الرويلي
- واقع الدراسات العثمانية في المملكة الأردنية الهاشمية، المنطلقات
41..... والتوجهات
أ. فوزية محنوف
- أهمية وثائق الأرشيف العثماني في الدراسات التاريخية العربية
61..... للعهد العثماني
د.فتيحة حمادي
85..... وقت الفراغ والترويح وعلاقتها بانحراف الشباب
أ.سارة دريدي
العلاقات السببية و علاقة التكامل المشترك بين الاستثمار الأجنبي
والصادرات "حالة الجزائر 1990-2013"..... 107

Alain CHANTE & Djebri YAHIAOUI

- Dispositifs Info-Communicationnels pour une nouvelle recherche :
Réflexions sur une virtualisation des potentiels 143

Boubakeur Saba

- A review of the contractual system governing the investment in the
upstream gas sector in Algeria 159

Présentation de thèse: « Histoire sociale de l'insurrection de 1871 et
de son procès (Constantine, 1873) », par Idir HACHI 177

Résumés des articles..... 182

-

افتتاحية

دخلت منصة المجلات الجامعية حيز الخدمة وقد شرعنا في التعامل المحتشم عبرها على مستوى هيئة التحرير؛ كما راسلنا أعضاء الهيئة العلمية في هذا الشأن. ونحاول في العدد القادم التعامل عبرها مع أصحاب المقالات وكذا مع الخبراء المحكمين حتى تكتمل الدورة ويمكن لنا العمل بفاعلية.

ومع هذا سنقبل في السداسي القادم المقالات الواردة عن طريق البريد الإلكتروني، كسبا للوقت، ونوجه المؤلفين إلى المنصة لاقتراح مقالاتهم حسب القواعد. وستتعامل بنفس الأسلوب مع المحكمين حتى يتسنى للجميع العمل عبر المنصة بأريحية.

في الواقع لا تسمح المنصة باختيارات واسعة من حيث وضعية الفاعلين؛ ولذلك اعتبرنا رئاسة التحرير، ناشر رئيس، وأعضاء هيئة التحرير، كل منهم ناشر مشارك لرئاسة التحرير في تخصصه، وأدرجنا أعضاء الهيئة العلمية في خانة الخبراء والمحكمين، وهم كذلك بالخبرة والرأي حول الخبراء.

ومع تخوفنا من عزوف العديد من الزملاء عن التعامل بالمنصة الافتراضية، نأمل أن يُقدِّموا ويقبلوا عليها -أساتذة وطلابا- كبوابة للتحكم في تحرير المقالات، باحترام الضوابط المنهجية والشكلية التي بدورها تفرض الصرامة في محتوى المقال من حيث المفاهيم وال فقرات.

كما نذكر أن المنصة الافتراضية للمجلات الجامعية، تضمن المتابعة الفورية لمصير المقال، في كل مرحله، ويمكن للناشرة، المؤلف/ة والمحكم/ة كل حسب مكانته، أن يعرف أين وصل المقال وطبيعة التعديلات المطلوبة، ومدى إنجازها...

ولعل ما يثر مخاوفنا أكثر هو ضعف التدفق في الانترنت في جامعاتنا ومقرات السكنى لنسبة معتبرة من الأسرة الجامعية وعليه ناشد مسئولينا في

كل المستويات توفير «الويفي» في رحاب الجامعات لضمان الحد الأدنى من العدل بين المقبلين على البحث والنشر.

وفي هذا العدد 46 من مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة 2 ، نقدم لكم دراسات في علم النفس والاقتصاد والتاريخ وعلم المكتبات تطرح قضايا اجتماعية وعلمية راهنة.

تناول الباحثان د. حدة وحيدة سايل و د. أحمد فاضلي استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لدى المدمن على المخدرات. كشفت نتائج الدراسة بأن درجات التركيز حول المشكل ضعيفة مقارنة بالاستراتيجيات المركزة حول الانفعال، مما يبعد المدمن عن البحث عن السند الاجتماعي الذي قد يخفف عليه المعاناة ويساعده على مواجهة المشاكل الحياتية.

وتبرز د. فتيحة حمادي، أهمية أنشطة الترويح في حماية الشباب من الانحراف؛ والحال «أن الشباب شريحة عمرية غير متجانسة، فضلا عن وجود «اختلاف وفقا لمتغير الجنس والبطالة والطبقة الاجتماعية» مما يفترض أخذها بعين الاعتبار في اقتراح كيفية استغلال أوقات الفراغ التي قد تؤدي إلى الانحراف.

أما في الاقتصاد، فقد حاول أ. بوبكر سابا «تحديد أثر النظام التعاقدى والقانوني على تدفق الاستثمارات الأجنبية في قطاع المحروقات ومنه قطاع الغاز؛ واتضح أنه «في الفترة التي سادت فيها عقود تقاسم الإنتاج حقق قطاع المنبع أفضل النتائج من حيث عدد الرقع الممنوحة، عدد الشركات ونوعها وكذا عدد العقود الموقعة».

في سياق مماثل، بينت دراسة أ. سارة دريدي مساهمة الاستثمار الأجنبي المباشر في زيادة الصادرات، لكن بشكل ضعيف إذ لم يرق إلى تنويعها خارج المحروقات؛ والسبب يعود حسب بعض النظريات إلى أن «تدفق الاستثمار الأجنبي مرهون بخصائص صادرات البلد» المستقبل لها.

من منظور الاستوغرافيا، أظهرت د. سلطانة الرويلي في مقالها سعة

الاعتناء بالدراسات العثمانية في الدولة الأردنية بالاستناد إلى وثائق تلك الحقبة؛ «استفادوا منها في إجراء بحوث موسعة» عن أقاليم الأردن المختلفة. مع الزمن، تحررت هذه الدراسات من الخلفية الإيديولوجية التي اتسمت بها عند الانطلاقة في مطلع القرن العشرين، وتبلورت ملامح مدرسة لكتابة التاريخ الأردني متبينة النقد العلمي للأرشيف منهجا.

كما طرحت أ. فوزية محنوف، أهمية الأرشيف العثماني للدراسات العربية الحديثة، رغم صعوبة الوصول إليه واستثماره؛ وتعد مسألة اللغة (التركية والعثمانية) فضلا عن تأخر الفهرسة وتكاليف الإقامة من الحواجز الموضوعية التي جعلت الباحثين العرب، يركزون على التاريخ المحلي والقطري بالاعتماد على المصادر المحلية، العربية أساسا.

وتثير هذه المسألة كل المعوقات التي يواجهها الباحثون - في الجزائر مثلا- للاستفادة من أرصدة الأرشيف الوطني؛ وإن تعددت الأسباب (رخص وأجال وغيرها) فالنتيجة واحدة التأخر في إنجاز البحوث والشعور بالإحباط لدى الشباب أو العزوف عن الموضوعات التي تتطلب الغوص في الأرشيف ...

قدم كل من د. ألان شانط A. Chante وجبرين يحيوي دراسة حول «التغيرات التي أحدثتها التكنولوجيات الحديثة في مجال البحث عن المعلومة العلمية؛ إذ أصبحت توفر للأنظمة متعددة الواجهات إمكانية التكيف مع تنوع أهداف الباحثين؛ وهي إمكانيات تبشر باستثمار أمثل ومتعدد للأعمال البحثية، القديمة والحديثة، على نطاق واسع من حيث الزمان والمكان. وهذا أمر مشجع ومحفز للإقبال على البحث بتوظيف كل الإمكانيات المتاحة، ولو بعد جهد... جهيد.

كما قدم لنا الباحث إيدير حاشي بدوره ملخصا عن رسالته الجامعية؛ التي درس فيها انتفاضة 1871 كظاهرة تاريخية كبرى تفتح الباب واسعا على التاريخ الاجتماعي للجزائر معتمدا على مختلف المصادر والوثائق المحفوظة في الجزائر وفي فرنسا، في شأن هذه الانتفاضة وكذا عن

المحاكمة التاريخية (قسنطينة 1873) التي طالت المتهمين بالضلوع فيها، هذا وقد قام الباحث بهيكله المسارات الجماعية والمعقدة للفاعلين والمتهمين، وناقش آراء المعاصرين والمؤرخين؛ كما لفت الانتباه إلى التناقض الملاحظ بين الخطاب العسكري الفرنسي الذي ركّز على الماهية الدينية للانتفاضة وما كشفت عنه ملفات المحكمة حول دوافع وآليات القضاء الفرنسي في تلك الأثناء.

يتميز البحث في عمومته بالعمق والشراء ويبعث على التفاؤل بأعمال طلبتنا وهو إضافة علمية قيّمة جديرة بالتقدير.

أ.د. فاطمة الزهراء قشي
رئيسة التحرير

إستراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لدى المدمنين على المخدرات

د. حدة وحيدة سايل - جامعة الجزائر 2

wahida009@yahoo.fr

د. أحمد فاضلي - جامعة البليدة 2

fadps@yahoo.com

ملخص

أجريت هذه الدراسة لتحديد استراتيجيات التعامل coping strategies مع الأحداث الضاغطة لدى عينة من المدمنين على المخدرات قوامها 100 فرد من مؤسسة إعادة التربية بالبليدة. يتراوح سنهم بين 20 و28 سنة. بلغ متوسط السن 24,78. ولاختبار فرضيات الدراسة تم الاعتماد على تطبيق قائمة طرق التعامل لدى Folkman و Lazarus وكذا اختبار تصنيف سوء استعمال المخدرات لدى Skinner. كشفت النتائج أن المدمن يواجه أحداثا ضاغطة مختلفة. وتظهر لديه درجات منخفضة في استراتيجيات التعامل المركزة حول المشكل ودرجات مرتفعة للاستراتيجيات المركزة حول الانفعال، خاصة الهروب/التجنب وأخذ المسافة. وتظهر إستراتيجية البحث عن السند الاجتماعي بدرجة منخفضة. لهذا يصعب على المدمن مواجهة الأحداث الحياتية الضاغطة.

الكلمات الدالة: المخدرات - الإدمان - الأحداث الضاغطة - استراتيجيات التعامل.

Abstract:

The aim of this study is to identify the drug addicts's coping strategies with stressful events. The study was conducted on a sample of 100 men with an average age of 24.78 year old. Those are in Blida rehabilitation institution. In order to achieve hypotheses of study, two scales have been applied, namely, the Lazarus and Folkman « Ways of coping check- list » and the Skinner « Drug Abuse Screening Test ». Results showed that addict is confronted with various stressful events, but he shows low score of problem-focused coping strategies, and high score of emotion-focused coping strategies mainly, escape/ avoidance and distancing. As shown, the score of the strategy "seeking social support" is also low. Therefore the addict finds it difficult to cope with the stressful life events.

Key words: drug-addiction-stressful events-coping strategies

مقدمة

يعد تعاطي المخدرات والإدمان عليها من بين الاهتمامات الأساسية للصحة العمومية، بحيث سجّل Dubois Jean-Alain & Broers Barbara, 2003 ارتفاعا ثابتا للمشكلات الطبية الاجتماعية والمرتبطة بالإدمان على المخدرات والكحول.

بالنسبة للواقع الجزائري فإن الظاهرة في تزايد مستمر، بحيث

أقر الديوان الوطني لمكافحة المخدرات والإدمان ارتفاع نسبة الأشخاص المتورطين في جنح وجرائم ذات صلة بالحيازة واستهلاك والمتاجرة في المخدرات، وهذا الارتفاع تجلى من خلال توقيف 9701 شخص سنة 2010، ليرتفع إلى 10574 سنة 2011، ثم إلى 16791 سنة 2012، و19167 سنة 2013، وسجل توقيف 1852 في شهر جانفي 2014 (وزارة العدل، 2010، 2011، 2012، 2013).

وتشير الدراسات الجزائرية إلى مميزات خاصة بالمدمنين على المخدرات وهذا ما أسفرت عنه الدراسة الابدmiولوجية التي قام بها كل من Yahi M و Hannoune D و Selhab MR (1991)، والتي أجريت على عينة تعدادها 639 شاب، تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة، حيث توصلنا إلى أن بداية التعاطي تكون في سن السابعة عشر، وهذا التعاطي متعدد. وقام الباحث Bengounia (1998) بدراسة تحليلية للدراسات الجزائرية لمجموعة من الباحثين (Abdelouaheb, 1998; Abdenbi A, 1987; Selhab MR, 1992; Kacha F, 1993; Boudef M, 1994)، توصل أيضا إلى انتشار واتجاه الظاهرة نحو الارتفاع. كما توصل Laidli MS و Bessaha M و Mehdi Y (1992) في دراسة على المساجين المدمنين أن 67,2% يقل سنهم عن 30 سنة، ويرتكبون عدة مخالفات. نفس النتيجة توصلت إليها سايل حدة وحيدة (2015) في دراسة استقصائية على عينة 1169 من نزلاء السجون، منهم 33% مدمنين على المخدرات، يقل سنهم عن 30 سنة، يتورطون في ارتكاب جنح وجرائم مختلفة، يتعاطون مخدرات متعددة (كيف، كحول، وأدوية نفسية).

من خلال عرض نتائج دراسات جزائرية لما توصلت إليه الدراسات المرتبطة بالواقع الجزائري، نستنتج أن أغلبية المتعاطين للمخدرات في الجزائر هم شباب، يواجهون أخطارا مختلفة من جراء الإدمان على المخدرات كارتكاب الجنح والجرائم. كما أتاحت الممارسة العيادية في مؤسسة لإعادة التربية بملاحظة وقوع المدمنين في العديد من المشكلات (عائلية واجتماعية ومهنية) ورغم ذلك فإنهم لا يكتفون لها، لهذا نتناول

من خلال هذه الدراسة طبيعة استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لديهم لفهم جانب من السلوك الادماني.

1. مشكلة الدراسة

إن الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفتها الجزائر منذ سنوات 1990 ساهمت في تفاقم مشكلة الإدمان على المخدرات بحيث أشار خبراء مكافحة الإدمان (Institut National de la Santé Publique, 1998) إلى أنها تمس 30000 شابا، وأن المدمنين على المخدرات يقل سنهم عن 30 سنة، واتخذت الظاهرة منعرجا خطيرا، بحيث أصبحت ترتبط بأشكال أخرى من الانحراف التي قد تصل إلى ارتكاب جرائم القتل.

وتهدف الدراسة الحالية إلى استكشاف أنواع الأحداث الضاغطة التي يتعرض لها مدمني المخدرات بالجزائر، وتحديد أنواع إستراتيجيات التعامل التي يستعملونها للتعامل مع هذه الأحداث. إن الغرض من هذه الدراسة هو تحديد جانب نفسي لظاهرة الإدمان لعله يساهم في اتخاذ إجراءات وقائية وعلاج الظاهرة مستقبلا، وعليه قمنا بطرح التساؤلات التالية:

- ما هي الأحداث الضاغطة التي يتعرض لها المدمنين على المخدرات؟
- هل يستعمل المدمنون على المخدرات إستراتيجيات تعامل مركزة حول المشكل بشكل أقل مقارنة بإستراتيجيات التعامل المركزة حول الانفعال؟
- هل يستعمل المدمنون على المخدرات إستراتيجية (التجنب/الهروب) وأخذ المسافة؟
- هل يستعمل المدمنون على المخدرات إستراتيجية البحث عن السند الاجتماعي؟

2. فرضيات الدراسة

يتعرض المدمنون على المخدرات إلى أنواع مختلفة من الأحداث الضاغطة بالإضافة إلى التعقيدات الناتجة عن الإدمان

- يستعمل المدمنون على المخدرات استراتيجيات التعامل المركزة على المشكل أكثر من الاستراتيجيات التعامل المركزة حول الانفعال
- يستعمل المدمنون إستراتيجية (التجنب/الهروب) وأخذ المسافة في المرتبة الأولى بالنظر إلى الاستراتيجيات الأخرى
- يفتقر المدمنون لإستراتيجية البحث عن السند الاجتماعي.

3. الإطار النظري

حاولنا في الدراسة الحالية إبراز خصائص المدمنين على المخدرات من خلال الإطار النظري السلوكي المعرفي الذي استندنا إليه كخلفية لتفسيرها.

ويعد مفهوم الإدمان ترجمة لكلمة (Toxicomanie (Ridouh Bachir, 2003 والتي جاء مصدرها من اللاتينية، وهي تنقسم إلى كلمتين Toxi بمعنى تسمم، anie بمعنى الخبل، الهيجان، الرغبة الملحة، كما تشير عبارة Addiction إلى سلوك متكرر تجاه المخدرات. وبهذا يحمل الإدمان على المخدرات صفة المرض، ووصف Ridouh الأفراد المدمنين عليها في طور العلاج بمستشفى البلدية، على أنهم أفراد يصعب التعامل معهم، لديهم علاقات معقدة مع الأطباء تتميز بالبحث عن المنفعة أكثر من التعاون، وهم مضطربين نفسياً واعتماديين.

كما تشير الأدبيات إلى عدة اضطرابات مترتبة عن تعاطي المخدرات، منها ما يقارب 26 اضطراباً بدنياً كالاختلال البدنية واضطراب كل الأجهزة: التنفسي، الدوري، والكبد والكليتين والجهاز الدوري الدماغى...، و35 اضطراباً نفسياً كالخلط العقلي، الاكتئاب والهلاوس والتدهور العقلي...، و55 مشكلات نفسية اجتماعية كزيادة الإقبال على المخدرات، الانسحاب الاجتماعى، وتدهور الشعور بالمسؤولية وسوء التوافق الاجتماعى، وتدهور الأداء في العمل وارتفاع احتمال البطالة والانهيار الأسرى والجريمة... (سويف مصطفى، 2000، ص 25).

يتعرض المدمنون في حياتهم إلى أحداث ضاغطة يصعب عليهم التعامل معها، وبالتزامن مع بعض المشكلات وتراكماتها تتعقد الوضعية ليصبح أمل الإقلاع عن المخدرات باهتا وضيئلا، وهذا بسبب الافتقار للمهارات اللازمة في مواجهة أحداث الحياة. ولعل أهمية الوسط الذي يعيش فيه المدمنون يبرز أهمية تعلمهم للأساليب الصحية في إدارة وتسيير مصادر ضغوطهم، وهذا ما خلصت إليه دراسة أجرتها قماز فريدة (2009) حول إدراك العلاقة بين المعاملة الوالدية وتعاطي المخدرات على عينة مكونة من 200 شاب جزائري، انتهت دراستها إلى أن معاملة الأم بالعطف، ومعاملة الأب بالرفض عن طريق الشعور بالذنب، يؤدي لشعور الابن بعدم القدرة على التغيير واستخراج الطاقة، وبضعف كبير، الأمر الذي يجعله إما نائرا، أو يبقى دائم الخوف، خجول، يحتقر ذاته، ويشعر بالفشل، وهكذا يتجه نحو تعاطي المخدرات.

من جهة أخرى يمكننا إضافة بعد آخر لدى المدمنين والذي يرتبط بالأفكار الخاطئة، وهذا ما سلطت عليه الضوء دراسة بوخاري سهام (2016)، حول العلاج الانفعالي العقلاني لعينة مكونة من 15 مدمن بمستشفى البلدية، حيث توصلت إلى تحديد بعض الأفكار اللاعقلانية لديهم، والتي يمكن الإشارة لها في: توقعهم للكوارث، تضخيم الأمور، التأثر بالأحداث الضاغطة والهروب منها بالاستمرار عن طريق تعاطي المخدرات.

وانطلاقا مما سبق يبرز أهم تصور حول التعامل مع الأحداث الضاغطة كجانب نفسي للمدمنين، أدرج ضمن النظرية السلوكية المعرفية في إطار النموذج التفاعلي Model transactionnel الضغط/ التعامل الذي قدم رؤية جديدة لتفسير مفهوم الضغط (نقلا عن Paulhan Isabelle, 1994). وهذا النموذج يميز بين الأحداث التي تشكل الضغط، التقييم المعرفي والانفعالي لها ومصادر التعامل المتاحة (التوقع) والاستجابة الفيزيولوجية للتعامل مع الضغط والاستجابات السلوكية المعرفية التابعة (Sinha Rajita, 2001).

يعتبر الضغط مطلبا يظهر في تفاعل Transaction (فرد-محيط) والذي يقيمه الفرد على أنه يفوق مصادره، ويعرضه للخطر (نقلا عن Graziani P, Rusinek

(S, Servant D, Hautekeete- Sence D, & Hautekeete M, 1998).

ويعرّف كل من Lazarus Richard وFolkman Suzanne (1984) التعامل Coping على أنه «مجموعة الجهود المعرفية والسلوكية الموجهة للتحكم وخفض أو تحمل المتطلبات الداخلية و/أو الخارجية التي تهدد أو تفوق مصادر الفرد» (نقلا عن Paulhan Isabelle, 1994).

نتناول تفسير استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لدى المدمنين على المخدرات من خلال الدراسات السابقة فيما يلي.

4. الدراسات السابقة

ركزنا على مختلف البحوث ونتائج الدراسات التي تخدم الدراسة الحالية وهي كلها تصب في نفس الاتجاه، تناولت:

- الأحداث الضاغطة المثيرة للإدمان:

أشارت دراسة قماز فريدة (2014) والتي أجريت حول مؤشرات الخطر من تعاطي المخدرات في أوساط الشباب الجزائري، على عينة قوامها 330 شابا، إلى أن العوامل التي تدفع بهم نحو تعاطي المخدرات هي بالترتيب: تأثير الأصدقاء، البحث عن الترفيه والاستراحة، مشكل في الأداء والتوافق الدراسي، وتأثير المخدرات نفسها واضطراب النظام العائلي.

أشار Beck Aaron T وWright Fred D وNewman Cory F (1992) إلى أن الأفكار المشوهة المرتبطة بتعاطي المخدرات، تشّطها مثيرات داخلية كالحصر، الاكتئاب، الإحباط... أو خارجية كالصراعات وسهولة الحصول على المخدرات والمشاركة في الاحتفالات والتجمعات التي ينتشر فيها التعاطي. يضيف Ellis أن الإدمان مرتبط بالتفكير اللاعقلاني، وبانخفاض تحمل القلق والإحباط، والاكتئاب والغضب (نقلا عن الحجارحمدي محمد، 1992، ص 46). كما يتوقع الأفراد أن المخدرات من شأنها إضعاف هذه المشاعر السلبية ورفع الفعالية وتشجيع الاجتماعية وتعديل المزاج.

كما قام Novacek Jill و Raskin Robert و Hogan Robert (1991) بدراسة على عينة مكونة من 2637 مراهق متمدرس، خلصت إلى أن الكثير من الشباب يلجؤون إلى تعاطي المخدرات حين يجدون صعوبات في التكيف مع التجارب اليومية، وهم غير قادرين على التحكم في انفعالاتهم السلبية أو على تطوير صور إيجابية حول الذات. كما يرتبط تعاطي المخدرات حسب (Pentz M, 1983) باضطراب المهارات الاجتماعية وهو يؤدي بدوره إلى الإدمان على المخدرات.

وعليه يرتبط تعاطي المخدرات بأحداث ضاغطة يصعب فيها التكيف، ولتخفيض التوتر الناتج عنها، يلجأ الفرد إلى تكراره ومع مرور الوقت قد يصبح مدمنًا.

- استراتيجيات التعامل والإدمان

يطوّر المدمنون (Lyden Murphy & Khantzian, 1995) استراتيجيات تعامل غير فعالة لمواجهة الضغط (نقلا عن Dorarda. G, Bungener. C, & Berthozb .S, 2013).

أشار Pentz M (1985) أنه حين يتعاطى الأفراد المواد المخدرة كاستراتيجية تعامل، يصبح لديهم كّف في تعلم أو ممارسة السلوكيات الأكثر تكيفا [استراتيجيات تعامل مركزة حول المشكل] وتلك المتعلقة باختيارات التعامل خاصة مهارات حل المشكل [التخطيط والمواجهة] (نقلا عن Karwacki Stephanie B & Bradley John R, 1996).

واتضح لـ Novacek Jill و Raskin Robert و Hogan Robert (1991) أن الإدمان هو عبارة عن شكل من أشكال التعامل المركزة حول الانفعال، يعبر عن محاولة لتجنب المواقف الضاغطة والتخلص من التوتر العصبي الناجم عنها.

قامت (Bradley John R 1996 و Karwacki Stephanie B) بدراسة على عينة قوامها 218 طالب جامعي، بينت نتائجها أنه حين تستعمل إستراتيجيات التعامل كتوبيخ الذات، الانسحاب، التفكير المرغوب (ما يتمناه ويرغب فيه)

والانغلاق حول الذات [طرق مركزة حول الانفعال] يرتفع احتمال زيادة الإدمان على الكحول والتعقيدات الاجتماعية.

كما يظهر الإدمان كأسلوب من الاندفاعية واللامبالاة تجاه الأحداث الضاغطة كما أشار إليه (Jaffee, Conrod, D'Zurilla, Jacobs & Schlauch cité par (Jaffee William B & D'Zurilla Thomas J, 2009).

وتشير الأدبيات إلى أنه يمكن الاعتماد على استراتيجيات التعامل للتنبؤ باستمرار الإدمان على المخدرات أو الكحول والانتكاسة بعد العلاج (Novacek Jill, Raskin Robert, & Hogan Robert, 1991 ; Rajita Sinha, 2001).

أثارت الدراسات السابقة الخاصة بكل من محمد حمدي الحجار، قماز فريدة ، Beck

و Novacek و Pentz عدة نقاط أهمها أن الشروع في تعاطي المخدرات والاستمرار فيه هو نتيجة للتعرض لأحداث ضاغطة يصعب على الفرد تحملها، وهي تخلق لديه توتر نفسي شديد، يبحث لخفضه عن طريق سلوك تعاطي المخدرات. كما أشار Dorarda وأتباعه و Karwacki و Bradly و Pentz و Jaffee و D'Zurilla إلى أن الإدمان مرتبط باستراتيجيات التعامل غير الفعالة مع الأحداث الضاغطة، تركز على تجنب الوضعيات التي تشكل ضغطا، وهي مركزة حول الانفعال، كما تم الإشارة إلى فقر على مستوى المهارات الاجتماعية، بالإضافة للسلوك الاندفاعي كاستجابة للأحداث الضاغطة. وفي الأخير اقترحت بعض الأبحاث إمكانية الاستناد على استراتيجيات التعامل للتنبؤ باستمرار الإدمان والانتكاسة بعد العلاج، ويحدث هذا حين يفتقر التعامل إلى استراتيجيات مركزة حول المشكل. ولهذا تبدو دراسة هذا الجانب غاية في الأهمية خاصة إذا تعلق الأمر بدراسة استراتيجيات التعامل مع أحداث الحياة الضاغطة لدى الشباب المدمنين على المخدرات في الجزائر.

5. أهداف الدراسة

نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على خصائص المدمنين على المخدرات من خلال إبراز العوامل التي تشكل خطراً على صحتهم. وهذا بغية توفير نتائج تسهل عمل الممارسين العيادين في مجال علاج الإدمان للتركيز عليها لتنمية استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة، من خلال ضبط برنامج وقائي وعلاج معرفي سلوكي مناسب لتعديل السلوك الإدماني والوقاية من الانتكاسة.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد ملمح خاص بالمدمنين على المخدرات يتعلق بـ:

- خصائصهم الشخصية والاجتماعية،
- الأحداث الضاغطة التي يتعرض لها المدمنين على المخدرات وتلك الناجمة عن الإدمان نفسه والتي نعتبرها كلها كعوامل خطر على الصحة،
- وعوامل سلوكية معرفية تتعلق باستراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة لديهم، والتي إذا كانت مضطربة، قد تعزز السلوك الإدماني وتبقي عليه.

6. تحديد مصطلحات الدراسة

1.6. الأحداث الضاغطة

هي عبارة عن عوامل قد تشكل خطراً على صحة الفرد النفسية والاجتماعية والجسدية، وهي تشمل أحداث الحياة المختلفة، منها: الكوارث، قد تكون طبيعية كالزلازل، والحوادث الخطيرة والحروب، التي قد تؤدي إلى ظهور الضغط الحاد. وتغيرات الحياة وهي عبارة عن تغيرات مهمة كموت شخص عزيز، البطالة، الطلاق، تغيير السكن قد تسبب الضغط المستمر. وأحداث ضاغطة مزمنة كالعلاقات السيئة في العمل، توتر وعنف في العائلة، مشكلات مالية، تعاطي الخمر وعلاقات مضطربة مع

الجيران... والإحباط والصراع وانشغالات متكررة في الحياة اليومية والتي قد تشكل مصدرا للضغط مثل الازدحام، تعدد المهام والعلاقات المتوترة... (Fisher Gustave-Nicolas & Tarquinio Cyril, 2014, pp 98-102). تجدر الإشارة إلى أن هذه الأحداث قد تؤدي إلى ظهور الضغط عند البعض وليس عند البعض الآخر، يتوقف ذلك على تفاعل الفرد معها. ولذلك لا يمكن الحديث عن استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة دون الإشارة إلى مصطلح الضغط.

2.6. الضغط

عملية تشمل على الإدراك والتحليل والاستجابة والتكيف مع أحداث الحياة الضارة المهددة والصعبة (Lazarus Richard S, 1993). ويعتبر الفرد، حسب وجهة النظر هذه، كعامل نشط، بإمكانه التأثير على الأحداث الضاغطة بواسطة إستراتيجيات التعامل "Coping strategies" معرفية انفعالية وسلوكية.

3.6. استراتيجيات التعامل

يدفع كل حدث مهّد وخطير الأفراد لخفض الضغط عن طريق استعمال استراتيجيات التعامل. حدد Lazarus نوعان منها:

- استراتيجيات التعامل المركزة حول المشكل: تشمل التخطيط لحل المشكل وروح المواجهة.

- استراتيجيات التعامل المركزة حول الانفعال تشمل استراتيجيات الهروب /التجنب، والبحث عن السند الاجتماعي، أخذ مسافة، تأنيب الذات وإعادة التقييم الايجابي، والتحكم في الذات.

هكذا هي مصنفة حسب نموذج Lazarus مجموعتين كل مجموعة تحتوي على عدد من الاستراتيجيات

4.6. الإدمان على المخدرات

يشير إلى اضطراب سلوكي يتميز بالرغبة الملحة في الحصول على مادة سامة، وجزئياً لضرورة التخلص من التأثيرات الجسمية المزعجة للانسحاب، ومن نتائج الاستعمال المتكرر للمخدرات نجد التبعية ويعود تأثيره الضار على الفرد والمجتمع (Lydia Fernandez & Michelle Catteeuw, 2005, p.25).

7. حدود الدراسة

ترتبط نتائج الدراسة بالعينة التي تم اختيارها من الذكور الراشدين، كما تتحدد بحجمها ما توفر لدينا أثناء التطبيق بحيث لجأنا إلى المعاينة القصدية في اختيارها وذلك نظراً لطبيعة الدراسة وتصميمها والإمكانات المادية المحدودة.

9. الاجراءات المنهجية للدراسة

منهج الدراسة

نظراً لطبيعة الدراسة، قمنا باختيار المنهج الوصفي لتحديد أنواع الأحداث الضاغطة وطبيعة استراتيجيات التعامل التي يتميز بها المدمنين على المخدرات.

مجتمع الدراسة

أجريت الدراسة في مؤسسة لإعادة التربية، حيث يستفيد النزلاء من فحص منتظم بمجرد الالتحاق بالمؤسسة، وبعد فحص 350 فرداً، تم الاحتفاظ بـ 100 منهم كأفراد العينة الذين تتوفر فيهم شروط اختيارها.

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من 100 فرد من الراشدين، تم مقابلتهم من خلال الممارسة العيادية في مؤسسة إعادة التربية بالبليدة. تم اختيارها بطريقة قصدية، ومن شروط اختيارها أن لا يكون أفرادها يعانون من أمراض عقلية، وأن يقبلوا المشاركة في الدراسة، وركزنا على الأحداث الضاغطة التي تعرضوا لها قبل التحاقهم بالمؤسسة، ومن بين خصائصها:

جدول رقم (01): توزيع أفراد العينة حسب السن

الفئة العمرية	%
22 – 20	28
25 – 23	30
28 – 26	30
31 – 29	12
المجموع	100

يوضح الجدول رقم (01) سن أفراد العينة الذي يتراوح بين 20 و28 سنة، وهو يقل عن 30 سنة بنسبة 88%. وبلغ متوسط السن 24.78.

جدول رقم (02): توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي والحالة المدنية والمهنية وأنواع المخدرات

المستوى التعليمي	%	الحالة المدنية	%	الحالة المهنية	%	أنواع المخدرات	%
أمي	02	أعزب	92	تاجر	22	الحشيش	28
إبتدائي	24	متزوج	08	موظف	22	الأدوية النفسية	03
متوسط	63	مطلق	00	عامل	36	حشيش + أدوية نفسية	69
ثانوي	11	أرمل	00	عاطل	20	المجموع	100
جامعي	00	المجموع	100	المجموع	100		
المجموع	100						

يبين الجدول رقم (02) أن أغلبية أفراد العينة لديهم مستوى دراسي متوسط (63٪). كما أن أغليبتهم عزاب (92٪). يمارسون مهن مختلفة (80٪). وبلغت نسبة البطالين (20٪)، يتعاطى أغليبتهم الحشيش والأدوية النفسية في نفس الوقت (69٪).

جدول رقم (03): توزيع أفراد العينة حسب أنواع الأدوية النفسية المستعملة

أنواع الأدوية النفسية	%
المنشطات المعدلة Artan	03
المنشطات المعدلة + المهدئات Temesta+Nozinan+Artan+Tranxene+Laroxyl+Rivotril	12
المهدئات	34
مختلف الأدوية النفسية دون ذكر اسمها	23
المجموع	72

يبين الجدول رقم (03) أن أغلبية المدمنين على الأدوية النفسية يلجؤون إلى استعمال المهدئات بنسبة (34٪). و(23٪) منهم يستعملون أدوية لا يعرفون أسماءها.

جدول رقم (04): توزيع أفراد العينة حسب تكرار التعاطي و سن بدايته وطريقة التعاطي

تكرار التعاطي	%	الفئة العمرية	%	طريقة بداية التعاطي	%
يوميًا	90	13-10	15	بصفة منفردة	12
مرة في الأسبوع	02	17-14	52	مع الأصدقاء	80

04	مع أحد الإخوة	25	21-18	01	مرتين في الأسبوع
02	مع الأب	08	25-22	05	ثلاث مرات في الأسبوع
02	مع أحد الأقران	100	المجموع	01	مرة في الشهر
100	المجموع			01	ظرفيا
				100	المجموع

يوضح الجدول رقم (04) أن تعاطي المخدرات لدى أغلبية المدمنين (90%) يكون بشكل يومي، كما أن أغليبتهم (52%) يشرعون في التعاطي بين 14-17 سنة من العمر. ويشرع (15%) في التعاطي في سن مبكرة قبل 14 سنة. ويشرع (25%) في ذلك بعد سن 17 سنة. وبلغ متوسط سن بداية التعاطي 16,54، وشرعت أغلبية المدمنين في تعاطي المخدرات مع الأقران أو الأصدقاء بنسبة (80%)، بينما شرع (12%) منهم بصفة منفردة و(8%) مع أحد الأقارب الأخ أو الأب...الخ.

أدوات الدراسة

استخدمنا في الدراسة الحالية الأدوات التالية:

اختبار تصنيف سوء استعمال المخدرات The Drug Abuse Screening Test (DAST 10) ((لـ Skinner Harvey A(1982) المتكون من 10 بنود، يقدم مؤشر كمي حول درجة النتائج المترتبة عن الإدمان على المخدرات، وهو يقيم النتائج المترتبة عن الإدمان على المخدرات، مثل المشاكل الصحية والقانونية وانفعالية وكذا صعوبة التوقف عن تعاطيها ومشكلات عائلية. ولا يتطلب سوى خمس دقائق للإجابة عليه (نعم أو لا)، يتم تطبيقه على شكل نقل ذاتي أو على شكل مقابلة. ومن شروط تطبيقه أن لا يكون الأفراد تحت تأثير المخدرات ولا يستعمل في حالة الإدمان على الكحول.

تتكون النسخة الأصلية للاختبار (DAST 10) من 28 بنداً، وتم اختصاره إلى 20 بنداً بحيث وجد ارتباطاً قوياً بين (DAST 28) و (DAST 20) قدر بـ 0,99، ويتميز (DAST 20) بثبات داخلي عال جداً قدر بـ 0,95، ثم تم اختصاره إلى 10 بنداً (DAST 10) ووجد ارتباطاً قوياً بين (DAST 20) و (DAST 10) قدر بـ 0,98، وبين (DAST 28) و (DAST 10) قدر بـ 0,97، وتدل هذه الارتباطات على صدق جيد للاختبار.

وبالنسبة للخصائص السيكومترية للاختبار في البيئة الجزائرية، قامت فريدة قماز (2014) باختبار الاتساق الداخلي للمقياس عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ والذي قدر بـ 0,70 وهو يدل على ثبات عال للاختبار. وفي الدراسة الحالية تم اختبار ثبات المقياس بإعادة تطبيقه بعد أسبوعين على عينة 30 فرد وكان معامل «بيرسون» بين درجات التطبيق الأول والثاني يساوي (81,0) .

كما تم تطبيق قائمة طرق التعامل لـ Lazarus Richard S و Folkman Suzanne (The Ways of coping check- (WCCL.67) list المتكونة من 67 بنداً، تصف مجموعة استجابات تعامل معرفية سلوكية يتخذها الأفراد لتسيير المطالب الداخلية و/أو الخارجية في الوضعيات الضاغطة (Lazarus & Folkman, 1984, pp328-333). تم إجراء دراسة على 100 فرد من الجنسين تراوحت أعمارهم بين 45 و65 سنة، لتحديد استراتيجيات التعامل التي يتخذها الأفراد خلال مدة 07 أشهر، وتم تطبيق القائمة المتكونة من 68 بنداً، وتبين أن 98٪ من الأفراد يستعملون شكلين من التعامل في الوضعيات الضاغطة، شكل مركز حول المشكلة وآخر مركز حول الانفعال، وكانت الإجابة في القائمة الأصلية على شكل ثنائي: نعم أو لا، ثم تم مراجعتها بتعديل الإجابة إلى أربعة أشكال (إطلاقاً، إلى حدّ ما، كثيراً و كثيراً جداً) (نقلاً عن Scherer Robert (F & Brodzinski James D, 1990). واعتمد Folkman و Lazarus لاختبار صدق هذا المقياس على استجواب كل شهر وخلال مدّة سنة 100 فرداً (52 امرأة و 48 رجلاً) تتراوح أعمارهم بين 40 و65 سنة، طلب منهم وصف وضعيتهم أزعتهم إلى أقصى حدّ، ثم تحديد من بين الاستراتيجيات المقترحة الأكثر

استعمالاً في مواجهتها (Paulhan Isabelle, 1994). تتكون القائمة من ثمانية سلالم تحتية، يشير اثنان منها إلى استراتيجيات تعامل مركزة حول المشكل، وستة استراتيجيات تعامل مركز حول الانفعال، يتم التنقيط بمنح درجات (0) على الإجابة (إطلاقاً)، و(1) على الإجابة (إلى حد ما)، و(2) على الإجابة (كثيراً) و(3) على الإجابة (كثيراً جداً)، تحسب الدرجة الكلية لكل مقياس تحتي ليتحصل المستجوب على درجة لكل منها.

في الدراسة الحالية، تم تطبيق هذه القائمة على شكل مقابلة، ركزنا فيها على تحديد الأحداث الضاغطة التي عاشها المفحوصين قبل دخولهم السجن. وقمنا باختبار ثبات المقياس بالاعتماد على طريقة إعادة التطبيق بعد أسبوعين على نفس المجموعة، وكان معامل «بيرسون» بين درجات التطبيق الأول والثاني يساوي (0,86).

المعالجة الإحصائية

من أجل تحليل بيانات البحث والتحقق من صحة الفرضيات المقترحة تمت الاستعانة بحزمة البرنامج الإحصائي في العلوم الاجتماعية SPSS، وذلك بالاعتماد على الأساليب الإحصائية التالية:

- النسب المئوية لوصف وترتيب وتصنيف خصائص العينة وكذا مستويات سوء استعمال المخدرات بتحديد الدرجات المحصل عليها في اختبار (DAST).

- مقاييس النزعة المركزية والتشتت، بحيث تم حساب المتوسط الحسابي لمعرفة مدى تماثل أو اعتدال صفات أفراد العينة وكذا حساب الانحراف المعياري لمعرفة طبيعة توزيع أفراد العينة ومدى انسجامها. وتحديد متوسطات درجات أفراد العينة المحصل عليها في القائمة (WCCL) في المتغيرات الواردة في أسئلة الدراسة.

- حساب اختبار Friedman لترتيب متوسطات درجات الإستراتيجيات الثمانية بحساب ك² لدلالة الفروق بين الرتب بغرض تحديد نمط استراتيجيات التعامل لديهم.

10. عرض نتائج الدراسة

نتائج الفرضية الأولى: يتعرض المدمنون على المخدرات إلى أنواع مختلفة من الأحداث الضاغطة بالإضافة إلى التعقيدات الناتجة عن الإدمان.

جدول رقم (05): توزيع أفراد العينة حسب نتائج اختبار (DAST 10)

المستويات	%
معتدل	13
هام	59
شديد	28
المجموع	100

يبين الجدول رقم (05) أن أغلبية المدمنين على المخدرات منخرطين في مشكلات هامة وشديدة مرتبطة بالمخدرات بنسبة (87%). وهي عبارة عن تعقيدات صحية وأخرى قانونية وعائلية، وانفعالية عند استعمال المخدرات. بالتالي يعاني مدمني المخدرات من مشكلات مختلفة مرتبطة بالإدمان عبارة تضاف إلى الأحداث الضاغطة الأخرى للحياة.

جدول رقم (06): توزيع أفراد العينة حسب أنواع الأحداث الضاغطة
المدرجة في WCCL

الأحداث الضاغطة	%
مشاكل عائلية	30
مشاكل علائقية مع الآخرين	15
الانتقال إلى سجن جديد	02
محاولة الهجرة	04
صعوبة الإلتزامات في مشروع الزواج	10
التشرد	05
مشاكل مهنية	11
البطالة	13
فشل دراسي	01
فشل عاطفي	03
المرض	02
فقدان أحد أفراد العائلة	03
زواج غير شرعي	01
تراكم المسؤوليات والتزامات تجاه الأسرة	00
المجموع	100

ويبين الجدول رقم (06) عرض أهم الأحداث كما عرضه أفراد التي شكلت وضعيات ضاغطة عند المدمنين وهي متنوعة يتعرض لها كل الناس منها مشاكل عائلية، دراسية، مهنية، صعوبة الإلتزام

بمهمة ما، البطالة والفسل. بالتالي فقد تحققت الفرضية الأول، يواجه المدمنون على المخدرات العديد من الأحداث الضاغطة تضاف لها تلك المتعلقة بتعقيدات الإدمان.

عرض نتائج الفرضية الثانية: يفتقر المدمنون على المخدرات لإستراتيجيات تعامل مركزة حول المشكل مقارنة بإستراتيجيات التعامل المركزة حول الانفعال.

جدول رقم (07): متوسط إستراتيجيات التعامل لدى أفراد العينة

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	استراتيجيات التعامل
7,39	10,34	المركزة حول المشكل
15,40	54,24	المركزة حول الانفعال

حسب الجدول (07) بلغ متوسط إستراتيجيات التعامل المركزة حول المشكل 10,34، وبلغ الانحراف المعياري 7,39. بينما بلغ متوسط الاستراتيجيات المركزة حول الانفعال 54,24، وبلغ الانحراف المعياري 15,40. ومنه فقد تحققت الفرضية الثانية، تظهر إستراتيجيات التعامل المركزة حول المشكل قليلة مقارنة بالاستراتيجيات المركزة حول الانفعال لدى المدمنين.

نتائج الفرضية الثالثة: «يستعمل المدمنون على المخدرات إستراتيجية (التجنب/الهروب) وأخذ المسافة بشكل في الدرجة الأولى».

جدول رقم (08): نتائج قياس المتوسطات في إستراتيجيات التعامل

إستراتيجيات التعامل	التخطيط لحل المشكل	روح المواجهة	أخذ المسافة	إعادة التقييم الإيجابي	تأنيب الذات	الهروب/ التجنب	البحث عن السند الاجتماعي	التحكم في الذات
المتوسط الحسابي	2,67	3,18	10,97	4,10	4,34	23,16	3,89	7,78
الانحراف المعياري	7,67	4,90	3,64	3,05	2,87	4,56	3,37	4,14

يبين الجدول رقم (8) أن متوسطات إستراتيجيات التعامل قدّرت بـ: الهروب/ التجنب (23,16). أخذ مسافة (10,97). هي أعلى الدرجات التي تحصل عليها مدمني المخدرات على المقياس، ومنه فقد تحققت الفرضية الثالثة، يستعمل المدمنون على المخدرات إستراتيجيات هروب/تجنب وأخذ المسافة في الدرجة الأولى سنفضل فيها فيما يلي.

نتائج اختبار الفرضية الرابعة: يفتقر المدمنون على المخدرات إستراتيجية البحث عن السند الاجتماعي

يبين الجدول (8) أعلاه أن متوسط درجات أفراد العينة في إستراتيجية البحث عن السند الاجتماعي بلغ 3,89 وعليه، فقد تحققت الفرضية الرابعة، يظهر مدمني المخدرات فقر في استعمال البحث عن السند الاجتماعي.

وبعد حساب متوسط كل إستراتيجيات التعامل، تم ترتيبها لإبراز كيفية استعمالها في التعامل مع الأحداث الضاغطة عن طريق حساب متوسط الرتب، ثم إجراء اختبار Friedman لتحديد الدلالة الإحصائية.

جدول رقم (09): نتائج اختبار Friedman لترتيب متوسطات الإستراتيجيات التعامل الثمانية ونتائج ك² لاختبار دلالة الفرق بين الرتب لدى أفراد العينة

مستوى الدلالة	درجة الحرية	ك ²	الترتيب	متوسط الرتب	إستراتيجيات التعامل
0,01	7	465,8	8	02,08	التخطيط لحل المشاكل
			4	04,97	روح المواجهة
			2	06,34	أخذ المسافة
			6	03,16	إعادة التقييم الإيجابي
			5	03,32	تأنيب الذات
			1	07,98	الهروب / التجنب
			7	03,06	البحث عن السند الاجتماعي
			3	05,09	التحكم في الذات

يبين الجدول (9) ترتيب استراتيجيات التعامل للمدمنين على المخدرات حسب نتائج اختبار Friedman والذي قدر بـ 465,8 وهو يدل على وجود دلالة لترتيبها عند المستوى (0,01) نجد في المرتبة الأولى إستراتيجية (الهروب/ التجنب) بمتوسط بلغ (07,98)، تليها في المرتبة الثانية إستراتيجية أخذ المسافة إذ بلغ المتوسط (06,34)، ثم يأتي في المرتبة الثالثة التحكم في الذات بمتوسط بلغ (05,09)، ونجد في المرتبة الرابعة روح المواجهة بمتوسط بلغ (04,97)، وفي المرتبة الخامسة يأتي تأنيب الذات بمتوسط بلغ (03,32)، وفي المرتبة السادسة تأتي إعادة التقييم الاجتماعي بمتوسط بلغ (03,16)، وفي المرتبة السابعة البحث عن السند الاجتماعي بمتوسط بلغ (03,06)، وأخيرا يأتي في المرتبة الثامنة التخطيط لحل المشكل بمتوسط بلغ (02,08).

هكذا ومن خلال ما توصلت إليه النتائج الإحصائية لترتيب استراتيجيات التعامل حسب مقياس (WCCL) ب: (1) الهروب/التجنب، (2) أخذ المسافة، (3) التحكم في الذات، (4) روح المواجهة، (5) تأنيب الذات، (6) إعادة التقييم الاجتماعي، (7) البحث عن السند الاجتماعي، (8) التخطيط لحل المشكل.

11. تحليل ومناقشة نتائج الدراسة

- الأحداث الضاغطة والإدمان على المخدرات

عرف أفراد عينة الدراسة تقريبا نفس الأحداث التي شكّلت ضغطا بالنسبة لهم على قائمة طرق المقاومة (WCCL) وهي: مشاكل عائلية، علائقية، الانتقال إلى سكن جديد، محاولة الهجرة، الالتزامات، التشرذم..... الخ. وتشير نتائج DAST أن 59% و 28% اظهروا مستويات مرتفعة وشديدة للتعقيدات التابعة للإدمان، منها صحية وأخرى قانونية كاستعمال طرق غير شرعية للحصول على المخدرات. وعائلية كإهمال الأسرة، وانفعالية كالشعور بالتعاسة وتأنيب الضمير عند استعمال المخدرات. بالتالي هم يعانون من مشكلات مختلفة، وهي عبارة عن أحداث ضاغطة، قد يتعرض لها كل الناس خلال مجرى الحياة، لكن ما يميّز المدمنين على المخدرات هو طريقة تعاملهم معها. كما أنهم شرعوا في تعاطي المخدرات في سن مبكرة، قد يعطل ذلك نموهم ومهاراتهم في التعامل مع الأحداث الضاغطة الحياتية، ناهيك عن تفاقم هذه الضغوط كنتيجة للإدمان على المخدرات.

في هذا الصدد، تشير النظريات المفسرة للإدمان إلى أن الضغط الحاد والمزمن يلعب دورا مهما في تنشيط الدافعية للتعاطي والإدمان على المخدرات (Wills & Shiffman, 1985 ; Koob & LeMoal, 1997, cité par Sinha, 2001). ويسمح تعاطي المخدر بخفض التأثير السلبي ويزيد من التأثير الإيجابي، بالتالي يعزز التعامل غير الفعال مع الأحداث الضاغطة. في البداية يُستعمل المخدر لتعديل التوتر ولكن مع تكرار التعاطي، يصبح استعماله ملحا لخفض التوتر وتحسين المزاج، وهكذا يصعب الإقلاع عنه. ومن بين النتائج التابعة للإدمان نجد أمراض جسمية خطيرة قد تؤدي إلى

الوفاة المبكرة، وكذا اضطراب العلاقات الاجتماعية، والتورط مع جماعات منحرفة وغيرها من التعقيدات (Dubois Jean-Alain & Broers Barbara, 2003).

- استراتيجيات التعامل مع الأحداث الضاغطة

توصلت النتائج إلى أن المدمنين يستعملون استراتيجيات مركزة حول المشكل بدرجة منخفضة مقارنة بدرجة الاستراتيجيات المركزة حول الانفعال. ومنه يفتقر المدمنين إلى استراتيجيات التعامل التي تهدف إلى تغيير الوضعيات الضاغطة، تتمثل في التخطيط لحل المشكل والمواجهة. هذا ما يفسر الملاحظات التي انطلقنا منها والمتعلقة بتخبط المدمنين في مشكلات وهم يظهرون سلبية تجاهها، لا يتعاملون معها، يفضلون خفض التوتر الناجم عن الأحداث الضاغطة بتعاطي المخدرات عوض حل المشاكل. حتى إن اعتبر استعمال المخدر كحلّ فهو غير فعال.

تتماشى هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة، بحيث توصل Farrel و Danish (1992) و Howard إلى أن الاستعمال المنخفض لإستراتيجية التخطيط لحل المشكل من أهم عوامل الخطر للإدمان على المخدرات عند المراهقين الحضريين (نقلا عن طايبي فريدة، 1998، ص 181). نفس النتيجة توصلت إليها دراسة Myers (1996) و Brown (1990) نقلا عن Myers Mark G, Brown Sandra A & Mott (1996) ودراسة Platt (1996) و Mariam A، و Platt Jerome & Platt (1988) (نقلا عن Husband Stephen D, 1993).

تصدر انفعالات سلبية عن كل وضعية ضاغطة تفوق قدرات الفرد للتعامل معها، وهي بمثابة مؤشرات لوجود مشكلة، قد تتطلب حلا مناسباً لتخفيض الضغط الناجم عنها وتسويتها، فإذا استعمل الفرد المخدرات للتخلص من هذه المشاعر، يتعود على طريقة سلبية في التعامل، قد تكفّ عملية حلّ المشكل لديه، واستنادا لـ Pentz M (1983) تحدّث المخدرات كّف في تعلم أو ممارسة سلوكيات تعامل أكثر تكيفا وتنوعا، ويكون هذا صحيحا بالنسبة للمهارات العامة للتعامل كحلّ المشكلة.

كما بينت دراسة Coyne وآخرون (1981) ودراسة Felton و (1984) (Revenson) أن الأفراد الذين يستعملون التفكير المرغوب فيه، يخوضون نشاطات خطيرة كشرب الكحول أو الإدمان على المخدرات (عن طايبي فريدة، 1998، ص 184). ووضح Novacek Jill و Raskin Robert و Hogan Robert (1991) أن الكثير من الشباب يلجؤون لاستعمال المخدرات حين يجدون صعوبات في التكيف مع التجارب اليومية، أو حين يفقدون التحكم في انفعالاتهم السلبية. نفس النتيجة أكدتها دراسة Sudraba V و Millere A و Deklava L وآخرون (2015) أجريت على 196 مدمن على المخدرات والكحول، وتشير نتائجها أن المدمنين في طور العلاج يستعملون استراتيجيات تعامل مركزة حول الانفعال بالدرجة الأولى مع الأحداث الضاغطة التي تعترضهم.

- الهروب والتجنب كإستراتيجية تعامل مع الأحداث الضاغطة

توصلت نتائج الدراسة إلى أن المدمنين على المخدرات يلجؤون إلى استعمال (الهروب/التجنب) وأخذ المسافة كإستراتيجيات تعامل في الدرجة الأولى. حين يتعرض هؤلاء الأفراد إلى أحداث ضاغطة تخلق لديهم نوع من التوتر، يلجؤون إلى تعاطي المخدرات لخفض هذا التوتر، بالتالي يجنبهم التعامل معها بالتخطيط وحل مشاكلهم. وتماشى هذه النتيجة مع ما جاء في دراسات سابقة.

هناك ديناميكية معرفية شائعة، وهي لجوء المدمن إلى الإدمان على مادة ما من أجل الهروب من المتاعب التي تواجهه (الحجار حمدي محمد، 1992، ص 66). توصلت دراسات إلى نفس النتيجة كدراسة Copper, Rusel & George. 1991) نقلا عن (Karwacki Stephanie B & Bradley John R) ودراسة (Novacek, 1991, Raskin Robert & Hogan Robert) ودراسة (Jill, Raskin Robert & Sieget & Erlish, 1989) نقلا عن طايبي فريدة، 1998، ص 183). تفسر هذه النتائج التساؤلات التي كانت تطرح في الميدان والتي تتعلق بنقص التعامل مع أحداث الحياة الضاغطة رغم عددها المعتبر لدى المدمنين، وقد تحقق لهم استعمال التجنب وأخذ المسافة والهروب الراحة مؤقتا، ولكنها استراتيجيات، إذا ما عممت على كل الوضعيات الحياتية، تصبح غير فعالة وهي لا تحقق للمدمنين الشعور

بالرضا ولا تغيير الوضعيات المسببة للمشكلات.

- البحث عن السند الاجتماعي كإستراتيجية للتعامل مع الأحداث الضاغطة

تبين نتائج الدراسة افتقار المدمنين على المخدرات للتعامل عن طريق البحث عن السند الاجتماعي، نلاحظ في الميدان أنه رغم المساعدة الاجتماعية المتاحة لديهم إلا أنهم لا يستغلونها و بالتالي لا يستفيدون منها. ولاستعمال السند الاجتماعي والاستفادة منه لتجاوز الضغط ينبغي في الأول إدراكه. قد تحتاج هذه المسألة لدراسة أخرى.

وتتماشى هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة، حيث بينت الدراسات التي أجريت على المدمنين على المخدرات نقص أو خلل في المهارات الاجتماعية لديهم، بالتالي فهم لا يحصلون على تدعيم اجتماعي مناسب، ويزداد لديهم الإدمان في مواقف التفاعل التي لا يتمكنون من مواجهتها بكفاءة (جمعة سيد يوسف، 1989).

وحين نفحص الأحداث الضاغطة التي عارضت المدمنين على المخدرات والتي تم إدراجها في قائمة طرق التعامل، نجد في الدرجة الأولى مشاكل عائلية وعلائقية، قد تدل على وجود خلل في علاقاتهم الاجتماعية، لهذا فهم لا يبحثون عن السند الاجتماعي لمواجهة الضغوطات أو لا يدركون السند الاجتماعي رغم توفره، لهذا لا يستغلونه.

خاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى وضع ملمح للمدمنين على المخدرات، هم شباب يقلّ سنهم عن 30 سنة، أغليبتهم ذوي مستوى دراسي متوسط. ينشطون في مهن متنوعة، يتعاطون الكيف والأدوية النفسية معا بشكل يومي. شرعوا في التعاطي قبل سن 17 سنة، وبدأت الأغلبية التعاطي مع الأصدقاء(التعلم الاجتماعي)، وفيما يتعلق بنوع استراتيجيات التعامل اتجاه الأحداث الضاغطة، يلجأ المدمنون على المخدرات إلى استعمال إستراتيجيات تعامل مركزة حول الانفعال، وبشكل خاص إستراتيجية(الهروب/التجنب) وأخذ

المسافة. ورغم روح المواجهة المتوفرة لديهم إلا أنهم يفتقرون لإستراتيجية التخطيط لحل المشكل. قد يعتقدون في صعوبة التحكم فيما يواجهونه من ضغوطات، كما أنهم يفتقرون إلى استعمال إستراتيجية البحث عن السند الاجتماعي التي تمكنهم من إيجاد المعلومة المناسبة بمساعدة آخرين لحل المشكل، ربما يرجع ذلك لوجود خلل في علاقتهم مع الغير. هم أفراد يظهرون قابلية التأثر بالأحداث الضاغطة ونقص السيطرة عليها، يستعملون المخدرات لتخفيض التوتر الناتج عنها، فيتعلمون طريقة لتخفيض التوتر كلما استدعت الضرورة، يحدث هذا تعزيز لهذه الاستراتيجيات للتعامل مع ما يواجهونه من صعوبات حياتية لذلك يصعب عليهم الإقلاع عنها، وبناء على هذه النتائج، ينبغي التفكير في:

- مساعدة المدمن على إدراك مشاكله، فباستغلال مشاعر الإحباط التي تعترضه، يتسنى له التفكير في حلها وتطوير الشعور بفعالية الذات، من تم المثابرة على المحاولات للإقلاع عن المخدرات، وعلى تطوير توقع نتيجة إيجابية.
- مساعدته على التفكير والتريث بدلا من التسرع أو الهروب من مواجهة المشاكل واستعمال المخدرات لخفض التوتر.
- إبراز أهمية السند الاجتماعي ومساعدته على تطوير العلاقات لما تحمله من تأثيرات ايجابية تحسن استراتيجيات التعامل الفعالة. وقبل كل هذا ينبغي الاستمرار في تشييط الدافعية لديه لتقبل المساعدة.
- وتعتبر نتائج هذه الدراسة كانطلاقة لدراسات مستقبلية حول إدراك السند الاجتماعي، وفعالية التربية الصحية والتربية العلاجية لصالح المدمنين في تنمية الدافعية لديهم للتغير لأجل الحفاظ على الحالة الصحية.

المراجع

- الحجار، حمدي. محمد. (1992). العلاج النفسي للإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية. الرياض السعودية: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.
- بوخاري، سهام. (2016). فعالية العلاج الانفعالي العقلاني للتخفيف من الأفكار اللاعقلانية والتخفيف من قلق الانزعاج لدى المدمنين على المخدرات (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة الجزائر2. الجزائر.
- جمعة، سيد يوسف. (1989). دور الأخصائي النفسي في علاج الإدمان بين الإمكانية والتحقيق. مجلة جامعة القاهرة. العدد، 12، 65-71.
- طايبي، فريدة. (1998). المميزات النفسية للشباب المدمنين على المخدرات دراسة مقارنة. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي غير منشورة . جامعة الجزائر.
- سايل، حدة. وحيدة. (2015). الادمان على المخدرات والاجرام. المجلة العربية للعلوم الاجتماعية والانسانية(جامعة الجلفة)، العدد 18، 364-374.
- سويف، مصطفى. (2000). مشكلة تعاطي المخدرات بنظرة علمية. جمهورية مصر العربية: الدار المصرية اللبنانية.
- قماز، فريدة. (2009، جوان). إدراك المعاملة الوالدية وتعاطي الشباب للمخدرات. مجلة العلوم الإنسانية، العدد 31، المجلد أ، 139-153.
- قماز، فريدة. (2014، ديسمبر). خطر تعاطي المخدرات بين الشباب الجزائري: أهم المؤشرات. مجلة العلوم الإنسانية، العدد 42، المجلد ب، 429-454.
- وزارة العدل. الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها. (2010). الحصيلة السنوية للكميات المحجوزة من المخدرات والمؤثرات العقلية

من طرف مصالح مكافحة. على الخط حصريا http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_ar. الجزائر.

- وزارة العدل. الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها. (2011).
الحصيلة السنوية للكميات المحجوزة من المخدرات والمؤثرات العقلية
من طرف مصالح مكافحة. على الخط حصريا www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_ar. الجزائر.

- وزارة العدل. الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها (2012)،
الحصيلة السنوية للكميات المحجوزة من المخدرات والمؤثرات العقلية
من طرف مصالح مكافحة، على الخط حصريا http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_ar. الجزائر.

- وزارة العدل، الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها (2013)،
الحصيلة السنوية للكميات المحجوزة من المخدرات والمؤثرات العقلية
من طرف مصالح مكافحة، على الخط حصريا http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_ar. الجزائر.

- وزارة العدل، الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها (2014)،
نشاطات مكافحة المخدرات والإدمان عليها، الحصيلة الإحصائية لشهر
جانفي. على الخط حصريا http://www.onlcdt.mjustice.dz/onlcdt_ar.
الجزائر.

- Beck, A.T., Wriqth, F.D., & Newman, C.F. (1992). Cocaine abuse, In A. Freeman., & F. Datilio (Eds). Comprehensive casebook of cognitive therapy (pp.185-192). New York: Plenum.
- Bengounia, A. (1998). Aspects épidémiologiques de la toxicomanie. *Santé plus(FOREM)*, n° 60, (20-26).
- Dorarda, G., Bungenera, C., & Berthozb, C. (2013). Estime de soi, soutien social perçu, stratégies de coping, et usage de produits psycho-actifs à l'adolescence. *Psychologie Française*, 58, 2, 107-121.
- <http://dx.doi.org/10.1016/j.psfr.2013.01.003>
- Dubois, J.A., Broers, B. (2003). Enseignement de la médecine de l'addiction : de la sensibilisation à la spécialisation. *Revue Médicale Suisse*, 61, 1793-1798.
- Fisher, G.N., & Tarquinio, C. (2014). Les concepts fondamentaux de la psychologie de la santé (2ed). Paris : Dunod.

- Fernandez, L., & Cateeuw, M. (2005). Cliniques des addictions. Théories, évaluation, prévention et soins. Paris : Armand colin.
- Graziani, P., Rusinek, S., Servant, D., Hautekeete- Sence, D., & Hautekeete, M. (1998). Validation française du questionnaire de coping «ways of coping check-list revised» (WCC-R) et analyse des évènements stressants du quotidien. *Journal de thérapie comportementale et Cognitive*, 8, 3, 100-112.
- Institut national de la santé publique (INSP). (1998). Drogues et toxicomanie. *Revue de presse*, n° 1, Ministère de la Sante et de la Population.
- Jaffee, W.B., & D'zurilla, T.J. (2009). Personality, problem solving and adolescent substance use. *Behavior Therapy*, 40, 93-101.
- Karwacki, S.B., Bradly, J.R. (1996). Coping, drinking motives, Goal attainment expectancies and family models in relation of alcohol use among college students. *Journal Drug Education*, 26, 3, 243-255.
- Laidli. M.S, Bessaha.M, & Mehdi. Y. (1992). Les toxicomanies: approche épidémiologique au milieu pénitencier. *Revue Diagnostique*, n° 6, 17-22.
- Lazarus, R.S., and Folkman, S. (1984), *Stress, appraisal and coping*. New York: Spinger.
- Lazarus, R.S. (1993). Coping Theory and Research: Past, Present, and Future. *Psychosomatic Medicine*, 55, 234-247.
- Myers, M.G., Brown, S.A., & Mott, M.A. (1993). Coping as predictor of adolescent substance Abuse. Treatment outcome. *Journal of Substance Abuse*, 15, 15, 5-29.
- Novacek, J., Raskin, R., & Hogan, R. (1991). Why do adolescent use drugs?: Age Sex and User differences. *Journal of Youth and Adolescence*, 20, 15, 475- 492.
- Paulhan, I. (1994). *Les stratégies d'ajustement ou « Coping »*. In M. Bruchon- Schweitzer. M,DANTZER. R (eds). Introduction à la psychologie de la santé 1^{er} édition. Paris ; Puf. (98-120).
- Pentz, M. (1983). *Prevention of adolescent substance abuse though social skill development*. In T. Glynn, C. Lenkefelt, and J. Ludford (eds). Preventing adolescent drug abuse, NIDA Research Monograph, 47. 195-232. Washington DC: US government printing office.
- Platt, J.J., & Husband, S.D. (1993). An overview of problem solving and social skills approaches. *Substance Abuse Treatment. Psychotherapy*, 30, 2, 276-283.
- Ridouh, B. (2003, décembre). Faut-il traiter? Où faut-il gérer ? *ACTES*. Toxicomanie et Sida, 1, 4-11.
- Scherer, R , F ., Brodzinski , J.D. (1990). An analysis of the ways of coping questionnaire. *Management Communication Quaterly*, 1 3 , 3, 401- 418.
- Sinha, R. (2001). How does stress increase risk of drug abuse and relapse? *Psychopharmacology*, 158,343–359. DOI10.1007/s002130100917
- Skinner, H. A. (1982). The drug abuse screening test. *Addict Behav*, 7, 363–371.
- Sudraba, V., Millere, A., Deklava, L., E.Millere, E., Zumente, Z., Circenis, K., & Millere, I.(2015). Stress coping strategies of Drug and Alcohol Addicted patients in Latvia. *Procedia - Social and Behavioral Sciences* 205, 632 – 636. doi: 10.1016/j.sbspro.2015.09.099
- Yahi, M., Hannoune, D., & Selhab, R. (1991, Mai). Enquête sur les psychotropes chez les jeunes de 15 à 24ans (wilaya d'Alger juin 1990). Partie II. Relevé Epidémiologique Mensuel, vol II, 5. Algérie:INSP.

واقع الدراسات العثمانية في المملكة الأردنية الهاشمية المنطلقات والتوجُّهات مع رصد بيبليوغرافي

د. سلطنة الرويلي
الجامعة الأردنية

smrwaili@ju.edu.sa

المُلخَص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز سعة الاعتناء بالدراسات العثمانية في الدولة الأردنية، سواء في الجامعات و مراكز البحوث أو كأفراد، وسبب ذلك الحاجة إلى كتابة تاريخ البلاد بالاستناد إلى وثائق تلك الحقبة. وتكلفت العملية ببِلورة ملامح مدرسة أردنية في كتابة تاريخ بلاد الشام في العهد العثماني، مرتكزة على تحقيق التراث ونشره وترجمته إلى العربية.

بدأت الكتابات الأردنية معادية للدولة العثمانية غداة الثورة العربية الكبرى (1916) وانتهت إلى تهمين التراث العثماني بإخضاعه إلى دراسة منهجية صارمة لمصادره والمتمثلة في وثائق مختلف الإدارات والمؤسسات ببلاد الشّام (ولواء عجلون على وجه التخصيص) مثل: دفاتر الطابو، المهمة، السّالنامات، سجلات المحاكم الشرعيّة والكنائس والأديرة.

الكلمات المفتاحية: الأردن، الدراسات العثمانية، الأرشيف العثماني، بلاد الشام.

Abstract

مقدمة:

اتجهت عناية الدارسين منذ منتصف القرن الماضي إلى الاعتناء بالدراسات العثمانية، وأفردت بعض الجامعات أقساماً ومساقات لتدريس التاريخ العثماني، وتوجت العناية بهذا الحقل بإنشاء مراكز بحث خاصة في التاريخ العثماني في بعض الدول العربية، مثل تونس التي أنشأ فيها الدكتور عبد الجليل التميمي عام 1982م

This study aims to show the importance of ottoman studies in public interest in Jordan. Liwa Ajloun was part of Bilad elCham circumscription under the Ottoman Empire and needed to have autonomous history. No way without the ottoman administration records. The first Jordanian studies were hostile to the Ottomans after the Arab revolution in 1916. The critical and methodological approach has permitted to valorize the ottoman patrimony rich and diverse with its documents as registers -of mahakim, churches, Tabo, Muhimme daftari, Salinamat-produced by different institutions and ottoman administrations during the long occupation. Since the 1970's, numerous studies, editions, translations to Arabic and publications of these rich registers opened large perspectives to researchers for new approaches and new investigations in Jordan History. These contributions, both individual and institutional, portrayed a sort of Jordanian school of writing history based on critical analysis of these ottoman archives.

Key words: Jordan, Ottoman studies, Ottoman archives, Bilad elCham.

لجنة عربية للدراسات العثمانية، ومع ذلك فقد بقيت هذه الجهود تقتصر على تاريخ كل قطر عربي في إطار الدولة العثمانية، من باب التأريخ المحلي لكل دولة على حدة.

وتحاول هذه الورقة تلّمس واقع الدراسات العربية التي جرى إعدادها عن الدولة الأردنية بحدودها السياسية الحالية في الحقبة العثمانية، سواء من قبل الباحثين المتخصصين أو من خلال مراكز البحث المعتمدة في الأردن مثل: لجنة تاريخ بلاد الشام، واللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن وغيرهما من مراكز البحوث العلمية. ومحاولة رصد النتائج العلمي المقدم في هذا الجانب، وبيان مقدار أهميته والاعتناء به.

وقد وقع اختياري على دولة الأردن مجالاً للبحث لوفرة الدراسات فيها عن الحقبة العثمانية، والاعتناء الظاهر بالدراسات العثمانية سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات، إضافة لقُرْبِي من مراكز البحث الأردنية، التي أنهيت فيها مرحلتي الدراسة للماجستير والدكتوراه.

الاعتناء بالدراسات العثمانية:

كان الأردن قبل قيام الثورة العربية الكبرى، ثم تأسيس الإمارة، أحد أولية دمشق الشام في العهد العثماني، واسمه لواء عجلون، وكان هذا اللواء يشغل مساحة واسعة من البلاد الأردنية وفق الاعتبارات السياسية الحالية، وبموجب دفتر طابو مفضّل لواء عجلون (970) فإن حدود هذا اللواء تنحصر في المنطقة الممتدة بين نواحي بني كنانة وبني جُهْمَة وبني الأعسر شمالاً (وكانت هذه النواحي خارجة عن اللواء وداخله في لواء حوران)، حتى وادي موسى جنوباً، وبين نهر الأردن والبحر الميت نزولاً إلى وادي عَرَبَة غرباً حتى طريق الحجّ الشاميّ شرقاً. وضمّ هذا اللواء في الثلث الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عدداً من النواحي، هي: ناحية عجلون والسلط وعلان والكرك، إضافة إلى طوائف العُربان في اللواء (البخيت والحمود، 1989، 10، 9، 13)؛ وفي نهاية القرن أصبح اللواء يشمل سبع نواح، عندما فُصلت ناحية بني علوان وناحية كورة

عن عجلون، وقُيّدت كناحيّتين مُستقلّتين، وسُجّلت ناحية الغور مُستقلّة عن السّلت (البخيت والحمود، 1991، 10، 12)، وكان يتبع لكلّ ناحيةٍ منها العديد من القرى والمزارع إضافة إلى طوائف العُربان.

وتعتبر المؤلفات الأردنية عن الحقبة العثمانية قليلة حتى قيام الثورة العربية الكبرى، ويمكن رصد بعضها، منها كتاب عقيل أبو الشعر الذي ألف كتاباً بعنوان «العرب تحت النير التركي» وطبعه في باريس سنة 1912م (أبو الشعر، هند، 1995، 562). ومنذ انطلاق الثورة العربية الكبرى عام 1916م بدأت عملية التأليف الأردنية عن العهد العثماني، وتمثل ذلك بإصدار العديد من كتب المذكرات والسير التي كتبها بعض القادة العسكريين الذين رافقوا تلك العمليات الحربية، فأرخوا لهذه الحقبة الإنتقالية، ومن بين هؤلاء محمد علي العجلوني (1960)، الذي سجل مذكراته عن الثورة العربية الكبرى، ومذكرات فائز الغصين (1956)، ومذكرات أحمد قدري (1956).

واتسمت هذه المؤلفات بنظرة سلبية تجاه الحكم العثماني، وأن الضعف الذي آلت إليه الدولة كان السبب وراء قيام الثورة العربية الكبرى والنزوع إلى التحرر والاستقلال، إضافة إلى التركيز على أحوال العرب السيئة أثناء الحكم العثماني ومقدار الإهمال الذي تعاني منه الولايات العربية.

وتشير الدكتورة هند أبو الشعر (1995، 16، 17)، بخصوص استفادتها من المذكرات الشخصية، إلى وجوب الحذر والتدقيق عند الأخذ منها لتضارب الآراء حول صحتها، واهتمام المذكرات بالجانب الشخصي لصاحبها والذي لا يخلو من عواطف وأهواء.

واستمر البحث في التاريخ العثماني ضئيلاً طيلة نصف قرن، نتيجة لعدم توفر مراكز البحث وعدم وجود جامعة أو معاهد علمية عليا في البلاد، واستمر ذلك حتى عام 1962م عندما تم إنشاء الجامعة الأردنية، وإنشاء قسم للتاريخ فيها، وأيضاً التحاق عدد من أبناء الأردن بجامعات البلدان المجاورة لدراسة التاريخ وغيره من العلوم، وكان من أوائل هؤلاء الدكتور عبد الكريم غرايبة الذي تحصل على درجة البكالوريوس من الجامعة الأمريكية

في بيروت عام 1947م، ثم نال الدكتوراه من لندن عام 1950م، وسافر إلى تركيا لدراسة الوثائق العثمانية في السنة الدراسية 1969-1970م، وفي مرحلة لاحقة الدكتور محمد عدنان البخيت، والذي اختار لأطروحته في الدكتوراه عنوان: «ولاية الشام العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي» وأعدّها في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن عام 1972م.

التأليف

تنوعت الدراسات الأردنية عن الدولة العثمانية بين بحوث علمية تناولت تاريخ الأردن طيلة العهد العثماني، ودراسات أخرى تتعلق بجوانب محددة من مفاصل الدولة العثمانية والخدمات الاقتصادية والعمراية والأثرية وطرق الحج... إلخ، إضافة إلى نشر التراث العثماني خاصة الوثائق والسجلات ودفاتر الطابو والسجلات الكنائسية، وسيتم تالياً الإشارة إلى نماذج من هذا الإنتاج العلمي.

التحقيق ونشر التراث والترجمة:

لم يكن الأرشيف العثماني الغني بمادته وكثرة محتوياته ومقتنياته متاحاً لجمهرة الباحثين حتى سبعينيات القرن الماضي، ولم يكن معروفاً إلا لدى قلة من الباحثين في الوطن العربي، وسبب ذلك عدم معرفة الباحثين ومنهم بعض الأتراك أيضاً اللغة العثمانية التي كُتبت بها تلك الوثائق، إضافة إلى تأخر عملية تصنيفها وفهرستها، والصعوبات الإدارية والبيروقراطية في بعض المكاتب التركية التي تحد من إمكانيات الاطلاع والتصوير وتعيق عملية البحث فيها، كل ذلك قلل من فرص الاستفادة من محتوياتها في تلك الفترة (صبايان، 2013، 423).

وانطلقت عملية دراسة الوثائق العثمانية من الحاجة الأردنية لكتابة تاريخ الدولة، ومحاولة التأريخ لها من جديد، ذلك أنه لَمَّا كان تناول المصادر الجغرافية والتاريخية للبلاد الأردنية قليلاً، وعلى درجة من شحّ البيانات، فقد بدت الحاجة ملحة إلى الاستفادة من الوثائق العثمانية، بأنواعها المختلفة، في دراسة تاريخ وجغرافية المواضيع التي غفلت عنها تلك المصادر، واستكمال

ما توقفت عنه في الحقبة المتأخرة من تاريخ هذه البلاد خاصة إبان العهد العثماني، والتمسك بما فيها من بيانات، رغم الصعوبات الكثيرة التي لاقاها الباحثون في ترجمة الوثائق العثمانية إذ أن تسميات المواضيع جاءت في أصولها العثمانية مُهملة غير منقوطة، إضافة إلى اندثار بعض القرى وغياب المزارع المذكورة في السجلات والوثائق، أو تغير اسمها (الرواضية، 2010، 50). وكذلك دفاتر المهمة العثمانية، حيث تواجه الباحث فيها صعوبة قراءة الخط المكتوبة بها، وصعوبة مصطلحاتها ومدلولاتها، إضافة إلى كونها مادة جامدة لا تستهوي الباحثين لقراءتها، وتحتاج إلى صبر وتأن في تحليلها، خاصة مع كونها كمية كبيرة من الوثائق فهي تقع في نحو 266 مجلداً، بما يعني آلاف الصفحات التي تحتاج إلى قراءة وتقيب وبحث متأن (صابان، 2013، 429).

وتشمل الوثائق العثمانية على: دفاتر الطابو (طابو دفترى) وسجلات التسوية وخرائطها، والسالنامات⁽¹⁾، ودفاتر المهمة⁽²⁾، وسجلات المحاكم الشرعية، وسجلات الكنائس والأديرة.

وقد نالت دفاتر الطابو اهتمام الباحثين الأردنيين⁽³⁾، فتم تحقيق ونشر العديد منها، والجدير بالذكر أن العثمانيين اعتنوا بعملية الإحصاء أو «التحرير» (ويركي ونفوس صاييمي) أي «إحصاء الضرائب والسكان»، لمعرفة مقدرات

1 السالنامة: كلمة فارسية مكونة من مقطعين: (سال) ومعناها السنة، و(نامه) ومعناها كتاب أو رسالة؛ فيكون معناها الكتاب السنوي. وهي تهتم بكل ما يتعلق بالدولة ومرافقها المختلفة، وقد صدرت أول سالنامة عثمانية في عهد السلطان عبد المجيد سنة 1263هـ/1847م. (بيات، 2003، 204؛ 1998، 161).

2 دفاتر المهمة: وهي سجلات تتضمن ما جرى تقييده في قلم الديوان العثماني من الفرمانات والأحكام الصادرة عن الديوان الهمايوني، وتشتمل على كل ما يجري بحثه في اجتماعات الديوان مما يتصل بشؤون الدولة العثمانية داخلياً وخارجياً، ويبلغ عدد هذه الدفاتر نحو 266 دفترًا تغطي المدة الزمنية بين عامي 961. 1323هـ/ 1553 - 1905م، أي طيلة العهد العثماني تقريباً. (صابان، 2013، 428، الهامش رقم/2).

3 عن أهمية دفاتر الطابو وقيمتها العلمية انظر: (أبو الشعر، 1995، 4، 7).

البلاد البشرية والمادية والمالية، ولغايات توزيع التيمار⁽¹⁾، وأودعوها في دفاتر خاصة سميت «تحرير دفتري» أو «طابو دفتري» أي دفاتر التحرير أو الطابو. وكانت الدفاتر على نوعين:

- دفتر المُفَصَّل، وتميَّز فيه أنواع الجبايات حسب الجهة التي خصَّصت لها؛ فيوزَّع ما يعود منها للسُّلطان أو للخزانة الأميرية، ويميَّز منها ما يخصُّ الأوقاف⁽²⁾، ويفرَّق الباقي على الأمراء وأصحاب الزعامات وأرباب التيمار، مع بيان مقدار نصيب كلِّ منهم.

- والنوع الثاني يسمَّى: دفتر الإجمال، يقيّد فيه اسم المستحقِّ للجباية، وأسماء الأماكن التي يحقُّ له جباية ما خصَّص له منها، فلا يُدرج فيها أسماء الشُّكَّان ولا عددهم ولا تُفصَّل فيها أنواع الجبايات، وكانت عملية الإحصاء هذه تُعاد حسب ما تقتضيه الحاجة، مرة كلِّ ثلاثين سنة، أو عندما تتبدَّل الأوضاع ولا يعود معها الدفتر مطابقاً للواقع (أوغلو، 1990، 131، 132).

قام الدكتور محمد عدنان البخيت وبمشاركة مع الدكتور نوفان الحمود بتحقيق وترجمة عدد من هذه الدفاتر؛ ومن ثم دراستها دراسة معمقة لاستخلاص البيانات والإفادات التي تتضمنها، وهي تغطّي الفترة العثمانية المبكرة، الممتدة من الثلث الأول من القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ حتى مطلع القرن الحادي عشر الهجريّ/ نهاية القرن السادس عشر الميلاديّ، منها على سبيل المثال:

- دفتر مفصل لواء عجلون: دَفْتَر الطَّابُو رقم (970) والذي يعود إلى القرن العاشر الهجريّ ويُرَجَّح أن يكون تحريره قد تمّ في عهد السُّلطان سليمان

1 نظام التيمار: وهو أن تعطي الدولة لبعض الفئات من العسكر حقَّ جمع وجباية بعض الرسوم والضرائب لحسابهم الخاص كبدل عن عدم تقاضيتهم لرواتب شهرية، وذلك مقابل الخدمات التي يقدمونها للدولة كالخدمة العسكرية والمشاركة في الحروب وحفظ الأمن. انظر: (أوغلو، 1987م، 145)؛ (أوغلو، 1990م، 131)؛ (أوغلي، 1999م، ج1/650).

2) إذا زادت الأوقاف عن دفتر المفصل لكبر مقدارها وقصُر عن الإحاطة بها، كانت تفرد في دفتر مستقل بها، يسمَّى «دفتر الأوقاف»، انظر: (أوغلو، 1990، 132).

القانوني، ويختص بلواء عجلون، أحد الألوية الرئيسيّة التي تتبع ولاية دمشق الشّام، وهو لواء يشمل الآن معظم مدن وقرى المملكة الأردنيّة الهاشميّة. وهو دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود، عمان، الجامعة الأردنيّة، 1989م.

- دفتر مفصل ناحية مرج بني عامر وتوابعها ولواحقها التي كانت في تصرف الأمير طره باي سنة 945هـ / 1538م، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود، عمان، منشورات الجامعة الأردنيّة، 1989م.

- دفتر مفصل خاص لواء الشام (طابو دفترتي 275) سنة 958هـ / 1551م، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت، مطبعة بنك البتراء، عمان، 1989.

- دفتر مفصل لواء عجلون: طابو دُفترتي رقم (185) ويعود تاريخه إلى سنة 1005هـ / 1596م. دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت و نوفان الحمود، عمان، منشورات الجامعة الأردنيّة، 1991م.

- دفتر مفصل لواء علجون (طابو دفترتي 181 سنة 1005هـ / 1596م، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت ونوفان الحمود، عمان، منشورات الجامعة الأردنيّة، 1989م، وأعيدت طباعته عام 2008م.

- كتاب لواء القدس الشريف من دفتر تحرير (T. D. 131)، دراسة وترجمة وتحقيق محمد عدنان البخيت و نوفان الحمود، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2007م.

أما سجلات المحاكم الشرعية، فمن أوائل من نبه الى أهمية سجلات المحاكم الشرعية والإفادة منها هو الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات عندما قام بإعداد دراسة مبكرة من خلال سجلات المحاكم الشرعية في محكمة السلط والتي جاءت بعنوان: السلط دراسة عمرانية بشرية 1296-1345هـ / 1881-1926م. (خريسات، 1986)، وهذه السجلات من المصادر المهمة لدى الباحثين، فهي على قدر من الأهمية في بيان طبيعة الحياة الاجتماعية ومعاملات الناس ومكونات المجتمع والعلاقة القائمة بين

عناصره، كما تضمنت تفصيلات مهمة عن العشائر وفرقها وشيوخها وأماكن سكنها، والعادات السائدة في المجتمع والظواهر الاجتماعية الأخرى (1)، وقد تم نشر العديد من سجلات المحاكم الشرعية، منها على سبيل المثال:

- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (388)، ورقم (389) : فهارس تحليلية - قيود الوثائق والحجج الشرعية الصادرة من محكمة القدس الشريف الشرعية، إعداد عبلة سعيد المهدي، إشراف وتقديم محمد عدنان البخيت، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، 2006م.

- سجل محكمة السلط الشرعية 1885-1883م، إعداد محمد خريسات، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2007م.

- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (387): فهارس تحليلية - قيود الوثائق والحجج الشرعية الصادرة من محكمة القدس الشريف الشرعية، إعداد عبلة سعيد المهدي، إشراف وتقديم محمد عدنان البخيت، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، 2007م.

- سجل صادر وارد محكمة السلط الشرعية، نموذج من الحياة الادارية 1920-1922م، إعداد محمد خريسات، مؤسسة حمادة، أربد، 2008م.

مراكز البحوث والدراسات

أولاً، لجنة تاريخ بلاد الشام

تم تشكيل اللجنة في عام 1972م وتُعنى بدراسة تاريخ بلاد الشام من خلال إقامة مؤتمرات علمية دولية وإعداد ونشر دراسات علمية في مختلف الجوانب المتعلقة بتاريخ الأردن، فلسطين، سورية ولبنان في مختلف العصور من النواحي السياسية والتاريخية والثقافية والاقتصادية والمالية والمعمارية والاجتماعية، وقد صدر عنها ثلاثة وأربعون مجلداً باللغتين العربية والإنجليزية.

1 عن أهمية سجلات المحاكم الشرعية وقيمتها في إجراء البحوث العلمية، انظر: (الحمود، 1996، 23 - 25)؛ (أبو الشعر، 1995، 10 - 15).

أما المؤتمرات العلمية فقد أنجزت اللجنة عقد تسعة مؤتمرات دولية بالتعاون ما بين الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وجامعة دمشق، كان أولها: المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، وموضوعه «تاريخ بلاد الشام حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي»، 1974م، وآخرها: المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام وموضوعه «الزراعة في بلاد الشام منذ العهد البيزنطي وحتى العصر الحديث»، 2011م.

ثانياً، مركز الوثائق والمخطوطات (الجامعة الأردنية)

تأسس هذا المركز عام 1972م، ومقره في داخل حرم الجامعة الأردنية ضمن مبنى مستقل، أسسه الدكتور محمد عدنان البخيت، ولا زال يرأس مجلس إدارته إلى اليوم.

وجاء إنشاء المركز تلبية لحاجة كان يستشعرها القائمون على إدارة الجامعة لتشجيع البحث العلمي والعناية بالتراث وتهيئة المناخ السليم للدارسين، فتولى المركز مهمة جمع الوثائق والمخطوطات وسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية في بلاد الشام والصحف إضافة إلى جمع التقارير والخرائط والرحلات والروايات والملفات والمذكرات والصور وحفظها وتوثيقها حسب الأصول العلمية.

وقد استطاع المركز تصوير كمية كبيرة من الأرشيف العثماني من خلال مخاطبة أعلى السلطات في الدولة التركية للسماح بتصويرها على الميكروفيلم، وتم التفاهم مع بعض المكتبات العالمية لتصوير بعض مقتنياتها من المخطوطات العربية على الميكروفيلم، فتم تصوير نحو ألف مخطوط من مكتبة الكونجرس بواشنطن، ومكتبة هوتن (جامعة هارفرد)، ومكتبة جامعة ميتشجان ومكتبة جامعة برنستون وجامعة ييل وغيرها من المكتبات الكبيرة، فاشتمل المركز بذلك على كمية من المخطوطات الأصلية والمصورة مع إعداد فهارس تفصيلية لها.

وكان من أبرز إنجازات المركز الكبيرة ترجمة ونشر كتاب: «الأرشيف العثماني»، وجرى نشره بالتعاون مع مركز الأبحاث التركي (إرسیکا)، ويعد الكتاب أكبر دليل شامل عن الأرشيف العثماني (صابان، 2013، 427).

ثالثاً، مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي

تم إنشاءها في عام 1980م ومقرها العاصمة الأردنية عمان، والجدير بالذكر أن الاسم القديم لها منذ تأسيسها هو: "المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية"، وجرى تغيير الاسم في عام 1999م، ولم يكن في أهدافها آنذاك التركيز على تاريخ الأردن، لكن ونتيجة لعدم توفر دراسات علمية رصينة عن تاريخ الأردن فقط طلب الملك الحسين بن طلال في عام 1987م من الرئيس الأعلى للمجمع، وكان آنذاك الأمير الحسن بن طلال، إيجاد لجنة خاصة معنية بالتأريخ للأردن على مر العصور وفي كافة الجوانب، فتم تأسيس وإنشاء اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، بمشاركة العديد من الجامعات في ذلك الوقت، وجرى العمل على إنجاز بحوث ودراسات في مختلف جوانب الحياة، تمثلت في إصدار نحو ثمانين كتاباً.

ولما كان العهد العثماني من أطول عهود الحكم التي خضعت لها هذه المنطقة، فقد أصدرت اللجنة العديد من الكتب، وكان نصيب الدراسات المتعلقة بالعهد العثماني نحو ربع هذه الإصدارات، ومن أبرزها:

- قضاء عجلون في عصر التنظيمات العثمانية، أ. عليان الجالودي، ود. محمد عدنان البخيت.
- السكان والحياة الاجتماعية في الأردن، د. أحمد الربابعة، ود. أحمد حمودة.
- الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى (طبعة ثانية)، سليمان الموسى.
- منطقة البلقاء والكرك ومعان (1864-1918م)، أ. محمد الطروانة، ود. محمد عدنان البخيت.
- مشروع الملك الحسين بن علي للوحدة العربية (1916-1924م)، أ. جبر محمد الخطيب.

4. الجهود البحثية والعلمية الفردية:

أولاً، الأستاذ الدكتور عبد الكريم الغرايبة (الشيخ المعلم - ت 2014م)

وجاء اهتمامه بالدراسات العثمانية مبكراً، منذ إعداده لأطروحة الدكتوراه التي لم تنشر لغاية الآن وهي بعنوان: «العلاقات التجارية بين إنجلترا والدولة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي»، وحصل من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية School of Oriental and African Studies على درجة الدكتوراه عام 1950م، وكان من الطلبة القلائل الذين استخدموا مراسلات التجار المحفوظة في المتحف البريطاني تحت اسم Cotton Department هذا بالإضافة إلى إفادته من وثائق (P.R.O Public Record Office)، واستفاد أيضاً من المصادر العربية المتعلقة بالموضوع (الشناق، 2014، 205).

كما قدم عبد الكريم الغرايبة مجموعة من الدراسات التي تناول العلاقة بين العرب والعثمانيين، ومنها:

- سورية في القرن التاسع عشر، (1962).
- مقدمة في تاريخ العرب الحديث 1500 - 1918م، (1960).
- تاريخ العرب الحديث، (1984).

ثانياً، الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت

ترتبط أغلب إنجازات البخيت العلمية بالعهد العثماني، بناءً على تخصصه في التاريخ الإسلامي، وكان عنوان أطروحته: «ولاية الشام العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي» وأعدّها في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن عام 1972م. وهي الدراسة التي طورها في كتاب نشره فيما بعد باللغة الإنجليزية عام 1982م، بعنوان «The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century»، وساعده على التوسع في هذا المجال إتقانه للغة التركية إضافة إلى العربية والإنجليزية. وتكشف قائمة بحوثه ومؤلفاته على غنى البحوث والدراسات التي قدمها، إما بشكل مستقل أو بمشاركة باحثين آخرين.

أولى البخيت جلّ اهتمامه لتحقيق ونشر الوثائق العثمانية الخاصة بالأردن وفلسطين، خاصة دفاتر الطابو العثمانية، وقد كانت الوثائق العثمانية بأنواعها المختلفة بعيدة عن تناول مراكز البحوث العربية والأجنبية (الحديثي، 1988، 281)، فضلاً عن الدارسين الباحثين، واستمرت الحال كذلك حتى الثلث الأخير من القرن العشرين عندما تنبّه الدكتور البخيت إلى أهميتها، ووجد فيها ما يمكن أن يسدّ جزءاً من النقص الحاصل في الدراسات التاريخية والجغرافية للبلاد الأردنية، فبذل جهداً كبيراً في رصدها وواصل البحث عنها وتصوير ما تيسر له منها (البخيت و الحمود، 2005، 7).

ويذكر الدكتور سهيل صابان (2013، 429)، أن البخيت من أوائل الذين عرفوا قيمة الوثائق العثمانية ودفاتر المهمة، بل «إنه أول باحث عربي تعرف على هذا التصنيف فيما يتعلق ببلاد الشام وبدأ الإفادة من مقتنياته»، حيث تنبه إلى فائدتها منذ عام 1967م عندما كان يحضر رسالة الدكتوراه بلندن.

وتلخص الدكتورة هند أبو الشعر (2013، 26)، مجمل إنجازات البخيت بقولها: «يحبس للبخيت تأسيسه لمدرسة أردنية في كتابة تاريخ بلاد الشام في العهد العثماني، تقوم على دراسة نوعية ومنهجية للمصادر، وفتح الأرشفة العثماني والمحلي، في محاولة لقراءة متوازنة تجمع المصدر الرسمي والمحلي والعلمي معاً، وامتازت بفتح أرشفة الطابو وسجلات التسوية وسجلات المحاكم الشرعية والصحافة وكتب الرحلات وسجلات الوقف الإسلامي والمسيحي، وسجلات الأديرة والكنائس والمدارس والسالنامات والأوراق المحلية، فضلاً عن الوثائق الغربية في محاولة لكتابة تاريخ متوازن يدرس كل المصادر ويحللها ويقدم دراسات ملتزمة بالأرض والإنسان في بلاد الشام، وفي الأردن وفلسطين على وجه الخصوص».

ثالثاً، الأستاذ الدكتور نوفان الحمود

وهو أستاذ التاريخ الحديث في الجامعة الأردنية، ومدير مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة ذاتها، وارتبطت مسيرته البحثية بمسيرة أستاذه البخيت، وتلازما معاً بالمشاركة في العديد من الأعمال العلمية، وأغلب

المؤلفات والترجمات والتحقيقات التي أنجزها البخيت وتقدم عرضها سابقاً، كانت بمشاركة الحمود.

وإضافة إلى بحوثه المشتركة مع الدكتور عدنان البخيت، فقد نشر العديد من الدراسات المستقلة، منها دراسة بعنوان: «لواء نابلس في منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي على ضوء دفتر إجمال لواء نابلس» (2013)، وكتاب «عمان وجوارها خلال الفترة 1281 - 1340 هـ/ 1864 - 1921م» (1996).

رابعاً، الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة الأردنية، وهو أول من تنبه إلى أهمية سجلات المحاكم الشرعية والنظامية كما أشرت سابقاً، أنجز العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بتاريخ الأردن في العهد العثماني، لاسيما من خلال السجلات، كان من أبرزها:

- سجل الحاكم المنفرد / الكرك 1919م، (2005)، وزارة الثقافة الأردنية، عمان.
- سجل أذون النكاح / السلط 1919-1923م، (2006)، مؤسسة حمادة، أربد.
- سجل محكمة السلط الشرعية 1883-1885م، (2007)، وزارة الثقافة الأردنية، عمان.
- سجل عمارة مسجد السلط الصغير 1905-1907م، (2008)، وزارة الثقافة الأردنية، عمان.
- سجل غرفة تجارة السلط 1937م، (2009)، مؤسسة حمادة، أربد.
- ولم يقتصر عمله على دراسة السجلات فقط؛ بل استفاد منها في دراسات لاحقة، منها كتاب «مسيحيو الفحيص من خلال سجلات المحكمة الشرعية بالسلط»، (2014)، الجامعة الأردنية، عمان.

خامساً، الأستاذة الدكتورة هند أبو الشعر

أستاذة التاريخ الحديث بجامعة آل البيت (الأردن)، وقد أبدت اهتماماً كبيراً بالدراسات العثمانية، سواء في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، أو في بحوثها المستقلة التي نشرتها فيما بعد، ومن مؤلفاتها المتعلقة بالعهد العثماني:

- إربد وجوارها (ناحية بني عبيد 1850 - 1928)، (1995م).
- سجلات الأراضي في الأردن (1876-1960)، (2002م).
- دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للأردن في العهدين العثماني وإمارة شرقي الأردن، (2007م).
- دراسات تاريخية في قصبات وقرى الأردن 1890-1946م، (2013م).
- كما أنجزت الدكتورة هند أبو الشعر، أهم دراسة عن الأردن في العهد العثماني، وعنوانها: "تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني (2001)، والدراسة تغطي حقبة زمنية ممتدة وطويلة (922 - 1337هـ/ 1516 - 1918م).

المنطلقات الفكرية للدراسات العثمانية:

- لمعرفة المنطلقات والرؤى والأفكار التي انبعثت منها الدراسات فيمكن التمييز بين نوعين من المؤلفات الأردنية عن الدولة العثمانية:
- المؤلفات التي رافقت الثورة العربية الكبرى حتى نشوء الإمارة وتأسيسها عام 1923م.
 - البحوث والدراسات التي أنجزت ونُشرت في الثلث الأخير من القرن العشرين.

فقد كانت المؤلفات التي رافقت الثورة العربية الكبرى أو تلك التي أعقبتها مدفوعة بالحماس والعاطفة ضد الوجود التركي والحكم العثماني لهذه المنطقة، وسعت لإثبات سوء الإدارة والإهمال الذي عانت منه

المنطقة بشكل خاص، والعالم العربي بشكل عام، مما فسح المجال للدول الغربية للتدخل في شؤونه ومحاولة السيطرة على مقدراته، واستشراء الفساد وإرهاق كاهل الأهالي بالضرائب والرسوم وإغفال الحياة التعليمية والصحية، واستشراء الأمراض بين المواطنين، ولا يمكن استغراب ذلك خاصة وأن الأيدلوجية الفكرية للحكم في الأردن تنبثق من إرث الثورة العربية الكبرى التي أنهت الوجود العثماني في المنطقة، وبالتالي فقد كانت كتب المذكرات الأولى مشحونة بالعواطف السلبية التي تظهر مدى انزعاج المواطنين من الإدارة العثمانية للبلاد.

وتشير الدكتورة سهيلة الريماوي (1992)، في كتابها الاتجاهات الفكرية للثورة العربية، إلى أن السمات التي تشكلت في أذهان الناس في تلك الحقبة عن الإمبراطورية العثمانية تمثلت في الشعور لدى العرب بتفشي الجوع والفقر المدقع، وانتشار الجهل والمرض وكثرة الضرائب والزج بهم في حروب أضاعت أجزاء واسعة من الدولة العثمانية، والسياسة السيئة التي انتهجها الاتحاديون نحو العروبة والإسلام. وقد استطاعت تكوين هذه الفكرة من خلال الإطلاع على صحافة تلك الحقبة، وخاصة جريدة القبلة الناطقة باسم الشريف الحسين بن علي.

أما المؤلفات والبحوث العلمية التي صدرت في أواخر القرن العشرين، فقد جاءت على نحو مغاير تماماً، وكانت على قدر كبير من الحيادية والموضوعية والرصانة العلمية، وكشفت عن اهتمام كبير من قبل السلطة العثمانية، خاصة إبان قوة السلطة وقبل ضعفها، لرفعة المنطقة وتنظيمها وحسن إدارتها وتقديم الخدمات للمواطنين والأهالي في كافة جوانب الحياة. وابتعدت عن إطلاق الأحكام القطعية دون الاستناد إلى وثائق ودلائل قاطعة، وكانت هذه الدراسات قد اعتمدت بشكل مباشر على وثائق رسمية مزودة بأرقام وتفصيلات لا تتدخل فيها الأهواء.

إن من يطالع هذا الكم الكبير من الدراسات العلمية التي أجريت في الأردن عن الحقبة العثمانية تحديداً، يلمس مقدار الاهتمام بكتابة تاريخ متوازن يعتمد على كافة المصادر المتاحة، مع التركيز على المصادر الأولية

وأهمها الوثائق والسجلات العثمانية بشكل خاص، وتحليلها واستنباط البيانات منها، دون التأثير بالأهواء أو العواطف سلباً أو إيجاباً، وهو ما أعطى هذه الدراسات صفة الريادة والاحترام في أوساط الباحثين، أما تلك البحوث والدراسات التي لم تعتمد التوثيق كأساس في الطرح والتناول، فقد بقيت حبيسة الشعارات والروايات السردية السطحية التي حاولت استهواء القراء بها من منطلقات دينية أو إيديولوجية، لم تصمد أمام البحث العلمي الرصين (ضاهر، 2013، 456).

الخاتمة

يظهر مما تقدم سعة الاعتناء بالدراسات العثمانية في الدولة الأردنية، سواء كمراكز بحوث أو كأفراد، سببه الحاجة إلى كتابة تاريخ البلاد بالاستناد إلى وثائق تلك الحقبة، دون الاعتماد على السرد والروايات غير الموثوقة.

وظهر أيضاً من خلال النماذج التي تقدم عرضها لمجموعة من الباحثين الأردنيين، مقدار الاهتمام الذي أولوه للكتابة فيما يتعلق بالدراسات العثمانية، فقدموا بحوثاً كثيرة ونشروا وثائق عديدة تعود لحقبة الحكم العثماني، واستفادوا منها في إجراء دراسات موسعة عن أقاليم وأنحاء الدولة المختلفة. ولم يكن الهدف من إجراء هذا الدراسات أساساً هو دراسة الدولة العثمانية بشكل مباشر، وإنما دراسة البلاد الأردنية خلال الحقبة العثمانية.

واتسمت الدراسات الأردنية بانطلاقها من خلفية علمية وليس إيديولوجية، يبرز هذا بشكل واضح من جدية البحوث التي أجريت وحرصاتها وحياديتها في تناول العهد العثماني بعيداً عن الأهواء أو تلك الصورة السلبية التي قدمتها كتب بعض المذكرات والسير المبكرة، والتي أغفلت الجانب الإيجابي للحكم العثماني وتوفيره الأمن للمنطقة ومحاولة الارتقاء بالحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

1. أوغلي، أكمل الدين إحسان، (1999)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون (إرسیکا)، استانبول.
2. البخيت، محمد عدنان، (1989)، ناحية بني جُهْمَة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بحث منشور ضمن كتاب: "بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة"، عمان.
3. البخيت، محمد عدنان، والحمود، نوفان رجا، (1989)، دفتر مفصل لواء عجلون رقم (970)، الجامعة الأردنية، عمان.
4. - (1991)، دفتر مفصل لواء عجلون رقم (185)، الجامعة الأردنية، عمان.
5. - (2005)، لواء القدس الشريف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.
6. بيات، فاضل مهدي، (2003)، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني «رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية»، دار المدى الإسلامي، بيروت.
7. - (1998)، السالنامات العثمانية مصدراً لدراسة التاريخ المحلي، بحث منشور ضمن كتاب (دراسات في مصادر تاريخ العرب الحديث) جامعة آل البيت.
8. الحديثي، نزار، (1988)، مشاكل الدراسات العثمانية في الوطن العربي، بحث منشور ضمن (كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني)، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، تونس.
9. الحمود، نوفان، (1996)، عمان وجوارها خلال الفترة 1281-1340هـ/ 1864-1921م، منشورات بنك الأعمال، عمان.
10. خريسات، محمد عبد القادر، (1986)، السلط دراسة عمرانية بشرية 1296-1345هـ/ 1881-1926م، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، ع 4.

11. رافق، عبد الكريم، (2010)، الشام في دراسات محمد عدنان البخيت، ضمن كتاب (محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً)، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان.
12. الرواضية، المهدي، (2010)، جغرافية الأردن التاريخية والبشرية من خلال دفاتر الطابو العثمانية، ضمن كتاب (محمد عدنان البخيت مؤرخاً وموثقاً وأستاذاً ومؤسساً)، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان.
13. — (2007)، مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه، منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان.
14. الريماوي، سهيلة، (1992)، الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان.
15. أوغلو، خليل ساحلي، (1987)، رسالة عين علي أفندي في التيمار، مجلة دراسات (الجامعة الأردنية)، المجلد 14، ع 4.
16. — (1990)، نسبة عدد سكان المدن إلى مجموع عدد السكان في الولايات العربية في الحكم العثماني، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد الأول والثاني.
17. أبو الشعر، هند (1995): إربد وجوارها (ناحية بني عبيد 1850 - 1928م)، عمان: جامعة آل البيت.
18. — (2001): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني، منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان.
19. — (2013): محمد عدنان البخيت وتأسيس المدرسة العربية لدراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الحديث لبلاد الشام، ضمن كتاب (بحوث ودراسات مهداة إلى محمد عدنان البخيت بمناسبة عيد ميلاده السبعين)، تحرير محمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية، عمان.

20. الشناق، عبد المجيد، (2014)، ذاكرة وطن (عبد الكريم غرايبة مؤرخاً عربياً «1923 - 2014م»)، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان.
21. صابان، سهيل، (2013)، محمد عدنان البخيت والأرشفة العثمانية، ضمن كتاب (بحوث ودراسات مهداة إلى محمد عدنان البخيت بمناسبة عيد ميلاده السبعين)، تحرير محمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية، عمان.
22. ضاهر، مسعود، (2013)، مشكلات التأريخ العلمي لبلاد الشام في العهد العثماني، ضمن كتاب (بحوث ودراسات مهداة إلى محمد عدنان البخيت بمناسبة عيد ميلاده السبعين)، تحرير محمد عبد القادر خريسات، الجامعة الأردنية، عمان.
23. العجلوني، محمد علي، (1960)، ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى، مكتبة الحرية، عمان.
24. الغصين، فائز، (1956)، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطبعة الترقى، دمشق.
25. قدرى، أحمد، (1956)، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، مطابع ابن زيدون، دمشق.

أهمية وثائق الأرشيف العثماني في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني

ملخص:

أ. فوزية مخنوف

جامعة 08 ماي -1945 قالمة

fmahnouf1982@gmail.com

إن للوثائق العثمانية في أرشيفات البلاد العربية أو الأرشيف العثماني في تركيا دور كبير في الدراسات التاريخية العربية خلال العهد العثماني، سواء كانت تلك الدراسات خاصة بتاريخ الدولة العثمانية نفسها أو خاصة بتاريخ الدول العربية في فترة الحكم العثماني، إذ تعتبر المادة الأولية التي يعتمد عليها الباحث العربي في دراسته التاريخية.

لقد بدأت الدراسات التاريخية العربية للتاريخ العثماني تشهد تطورا ملحوظا خلال السنوات القليلة الماضية، إذ عمل الباحثون العرب على الإهتمام بها بعدما كان هناك عزوف عن دراسة التاريخ العثماني، وقد ساهمت في ذلك عدة عوامل شجعت الباحث العربي على الإهتمام بهذا التاريخ، لكن ما يلاحظ على هذه الدراسات التاريخية العربية هو غلبة الطابع المحلي عليها، أي أنها اقتصرت بتاريخ البلاد العربية دون غيرها من مواضيع التاريخ العثماني من جهة، كما تميزت بالإعتماد على وثائق الأرشيف المحلي بالبلاد العربية وحدها من جهة أخرى، ولعل ذلك راجع للصعوبات التي يواجهها الباحث العربي في التعامل مع الأرشيف العثماني في تركيا وكذلك في التعامل مع الوثائق العثمانية الموجودة فيه.

الكلمات المفتاحية: -الدراسات التاريخية العربية -الأرشيف العثماني -العهد العثماني - الأرشيف المحلي في البلاد العربية

Summary:

The Ottoman Documentation in the archives of the Arab countries or in the Ottoman archive in Turkey played a major role in the historical Arab studies during the Ottoman era, be it the studies concerning the history of the Ottoman state itself, or the Arab states in particular during the period of Ottoman governance. These archives are considered as the raw material on which the Arab researcher bases his historical studies. These historical Arab studies concerning the Ottoman history have been developed significantly during the last few decades. Arab researchers are beginning to become more and more interested in that by attention after showing reluctance to study this history. But, what one can notice about these historical Arab studies is the predominance of the local aspect on them. That is to say, they specialized, on the one hand, in the history of the Arab country without any of the other subjects related to the Ottoman history, and relied, on the other hand, mainly on the local archival documents existing in the Arab country. That might be the result of the obstacles faced by the Arab researcher when treating the ottoman archives in Turkey, as far as language question and research tools are concerned.

Keywords: - Arab historical studies - Ottoman archives - Ottoman period - Local archival documents in Arab countries.

مقدمة

ارتبطت البحوث والدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني بنظرة المؤرخين العرب لحكم العثمانيين للبلاد العربية، فقد كان هناك اختلاف كبير في وجهات نظرهم للدولة العثمانية، فمنهم من رأى فيها دولة الخلافة الإسلامية التي ساهمت في نشر الدين

الإسلامي، و حماية العالم الإسلامي من الأخطار الخارجية التي كانت تهدده، ومنهم من اعتبرها دولة استعمارية مثلها مثل الاستعمار الأوروبي، و أنها المسؤولة عن التخلف والإنحطاط الذي شهده العالم العربي.

في ظل هذا السجال الفكري للمؤرخين العرب بين مؤيد للوجود العثماني في البلاد العربية ومناهض له تأثرت الدراسات التاريخية العربية للتاريخ العثماني من حيث مصادره و موضوعاته، إذ لم يكن هناك اهتمام بالإعتماد على الوثائق الأصلية للتنقيب عن الحقائق التاريخية، كما اقتصرت موضوعاته في معظمها على تاريخ البلاد العربية خلال الحكم العثماني، مما أدى إلى انعكاسات سلبية على الإنتاج الفكري للدراسات العربية للتاريخ العثماني، خاصة إذا ما قورنت بالدراسات الغربية التي كانت أسبق في التأريخ للعهد العثماني.

ومع قلة الدراسات التاريخية العربية الجادة ظهرت بعض الكتابات عن العهد العثماني لا ترتقي إلى مستوى الدراسات الأكاديمية ولا تخدم الدراسات التاريخية، متأثرة بأفكار أيديولوجية دون الإهتمام بالرجوع إلى المصادر والوثائق الأرشيفية الأصلية التي تعد اللبنة الأساسية للبحوث التاريخية العربية للعهد العثماني، بالإضافة إلى بعض الدراسات الأكاديمية التي اقتصر البحث فيها على اعتماد المؤرخين والباحثين العرب بشكل رئيسي على وثائق الأرشيفات المحلية الموجودة في البلدان العربية في دراساتهم لهذه الحقبة التاريخية، مثل ما تؤكد الدراسات العثمانية في الجامعة الجزائرية (قشي، 2007). غير أنه في الفترة الأخيرة من القرن 20م ظهرت بعض الاتجاهات الحديثة لباحثين عرب تدعو إلى الإهتمام بالتاريخ العثماني بعيدا عن الأفكار الأيدولوجية، وبضرورة الإعتماد على مصادر و وثائق أصلية خاصة تلك الموجودة في أرشيفات الدولة التركية.

وعلى اعتبار أن فترة حكم الدولة العثمانية للبلدان العربية جزء مهم من تاريخ هذه البلدان، فإن الكثير من وثائق الدولة العثمانية الموجودة في أرشيفات الدولة التركية تخص البلدان العربية، مما يساهم في توضيح وتفسير الكثير من المسائل المتعلقة بالتاريخ العربي في هذه الفترة التاريخية،

و بذلك نتساءل عن مدى أهمية اعتماد الباحثين العرب على وثائق الأرشيف العثماني بتركيا للإستفادة منها في تطوير البحوث و الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني، و في هذا السياق نحاول الإجابة على هذه الإشكالية وفقا للمحاور التالية:

- واقع الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني: من خلال هذا المحور نتطرق لأسباب عزوف المؤرخين و الباحثين العرب عن دراسة التاريخ العثماني، ثم عوامل تغيير هذا الموقف و بداية الإهتمام بالوثائق العثمانية.

- وثائق الأرشيف العثماني في تركيا: في هذا المحور نحاول تبيان مدى حاجة الباحثين العرب لوثائق الأرشيف العثماني في دراساتهم و أبحاثهم التاريخية للعهد العثماني، رغم الصعوبات التي تواجههم في الوصول للأرشيف العثماني بتركيا و في التعامل مع الوثائق العثمانية.

- وثائق العهد العثماني في أرشيفات البلدان العربية: نظرا للصعوبات التي يواجهها الباحثون العرب في اعتمادهم على الوثائق العثمانية بتركيا، توجه معظمهم إلى وثائق الأرشيفات المحلية للبلدان العربية في دراساتهم للعهد العثماني، و ذلك لسهولة الوصول إليها نسبيا، و توظيفها على الرغم من عدم كفايتها لوحدها في معالجة بعض موضوعات التاريخ العثماني.

ومن خلال هذه الورقة العلمية نحاول التنويه بأهمية توجه الباحث العربي إلى الوثائق العثمانية بأرشيفات الدولة التركية، و ضرورة توظيفها في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني، بالتطرق إلى وثائق جديدة للإجابة على الكثير من الإشكاليات المرتبطة بقضايا التاريخ العربي في ظل الحكم العثماني، و تجاوز فكرة الإعتماد على وثائق الأرشيفات المحلية في البلدان العربية كمصدر وحيد لدراسة تاريخ العهد العثماني.

أولا: واقع الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني:

لم تحظ الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني بالإهتمام الكبير من طرف الباحثين العرب، نظرا لاعتبارات سياسية و توجهات أيديولوجية، بيد

أنه في الآونة الأخيرة بدأ الإنفتاح على دراسة التاريخ العثماني بالإعتماد على الوثائق العثمانية الأرشيفية الأصلية.

1- النظرة السلبية للمؤرخين العرب للتاريخ العثماني: ظلت الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني لفترة طويلة تتسم بالسلبية، بسبب تضافر عدة عوامل نذكر منها تأثير الخطاب القومي والسياسي على الخطاب التاريخي.

ظهر الفكر القومي جليا في كتابات بعض المؤرخين غير الأكاديميين الذين اتسمت كتاباتهم بتوجهاتهم السياسية والأيدولوجية، وكان هدفهم في ذلك تقوية الفكر القومي العربي؛ «إن إشكالية هذا الخطاب التاريخي القومي هي في أنه يحمل وعيا تاريخيا أحاديا للمسار التاريخي» (بيات، 2003، ص130)، فكتاباتهم التاريخية للعهد العثماني لم تعتمد على الوثائق العثمانية باعتبارها مصدرا أساسيا، كما تميزت بعدم الرجوع إلى الوثيقة العربية ولا حتى إلى الوثائق الأجنبية، وإنما كانت كتاباتهم تعبر عن أفكارهم الأيدولوجية ومرجعياتهم السياسية، ومن أمثلتهم جورجي زيدان و ساطع الحصري وجورج أنطونيوس. إن الميزة الأساسية في كتاباتهم هي «التغاضي عن الضوابط الأكاديمية لتأطير المعرفة التاريخية، وهذا انطلاقا من الخلفيات الفكرية والسياسية القومية المعروفة بشططها وتعيمها على الفترة العثمانية» (التميمي، 1996، ص281). لقد عمل رواد الخطاب القومي على تصوير الدولة العثمانية على أنها دولة استعمارية شأنها في ذلك شأن الإستعمار الأوروبي الحديث (كوثراني، 1996، ص275)، و انطلاقا من ذلك أساء هذا الفكر للدولة العثمانية وللتاريخ العثماني (بيات، 2003، ص294).

كما كان للخطاب السياسي الذي تبناه بعض الساسة والرؤساء الوطنيون العرب آثاره السيئة على الكتابات التاريخية عن العهد العثماني لدى المؤرخين والكتاب العرب، حيث تميزت دراساتهم في معظمها بإصدار أحكام اعتباطية نظرا لافتقارها للوثائق سواء العربية منها أو العثمانية (التميمي، 1991، ص24). و لعل حدة الخطاب الأيدولوجي لدى الساسة العرب تعود إلى المواقف السياسية السلبية للدولة التركية الحديثة بخصوص

بعض القضايا العربية في بداية القرن 20م، مثل موقفها من الثورة الجزائرية في مجلس الأمن (التميمي، 1991، ص26)، كذلك سياسة تركيا من القضية الليبية (غربي، 2007، ص251)، بالإضافة إلى مشاركتها في الحلف الأطلسي، هذا فضلا عن الإعتراف التركي بدولة إسرائيل مما جعل تركيا تدخل... مرحلة اغتراب جديدة عن المنطقة عندما ظهرت في صورة أكثر دول المنطقة دعما للإستراتيجية الإسرائيلية...“ (داود أوغلو، 2011، ص81). زيادة على ذلك، جاءت هذه المواقف السلبية في السياسة التركية في فترة اتسمت بقوة الحركة الوطنية العربية ونمو الفكر القومي العربي مما ساهم في النظرة السلبية للدولة التركية و كل ما يتصل بها إذ أن ”...المواقف التركية قد أعطت لرجال السياسة العربية يومئذ أحقية القيام بحملة إعلامية وصحفية ضد تركيا“ (التميمي، 1991، ص26).

إعتماد المؤرخين والباحثين العرب على وثائق الأرشيفات الأجنبية:

نظرا للإعتبرات الأيديولوجية والسياسية للكثير من الباحثين والمؤرخين العرب السابق ذكرها، والتي ساهمت في عزوف الباحثين العرب عن دراسة الوثائق العثمانية، توجه معظمهم إلى الأرشيفات الأجنبية الغنية بالوثائق عن العهد العثماني وعن الدولة العثمانية وإيالاتها العربية خاصة في القرن 19م، حيث كان التنافس كبيرا بين الدول الأوروبية الكبرى لإقتسام ممتلكات الدولة العثمانية ما أدى إلى تعاضم النشاط الدبلوماسي لقناصل الدول الأوروبية في الدولة العثمانية (كوثراني، 1996، ص274). لذلك كانت معظم الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني قبل سنة 1960م عبارة عن ترجمة للدراسات الغربية، أو توظيف لوثائق الأرشيفات الأجنبية خاصة الفرنسية والإنجليزية دون الرجوع حتى إلى الأرشيفات العربية (التميمي، 1991، ص26)، على الرغم من تحيز تلك الوثائق الموجودة في الأرشيفات الأجنبية و الذي يرجع إلى:

- إختلاف وجهات النظر بين القناصل والدبلوماسيين والمبعوثين والخبراء الإقتصادييين وكذلك رجال الدين للدول الأوروبية، والذي يتضح جليا من خلال الوثائق المحررة من طرفهم في إطار التنافس الأوروبي لاقتسام ممتلكات الدولة العثمانية، وبذلك فالوثائق الأجنبية على أهميتها لا تخلو

من خلل «لأن كاتبيها من قناصل ورهبان وجواسيس لم يكونوا يتحرون الصدق دائما فيما يكتبون، بل تشوب كتاباتهم نوازع شيطانية ونوازع دينية أو عنصرية متأثرين بها يخدمون مصالح أوطانهم وعقائدهم ولو على حساب الحقيقة والواقع» (بن منصور، 1996، ص 27).

- الوثائق الأجنبية تعبر عن وجهة نظر أوروبية غربية حول مجتمع إسلامي، أي أنها كتبت بمنظور غربي لا يمكنه إعطاء صورة حيادية عن الدولة العثمانية وإيالاتها العربية في تلك الفترة التاريخية «ولعل غياب هذه الإعتبارات أو تغييبها لأسباب مختلفة ثقافية أو منهجية أو سياسية يؤدي في حالات عديدة إلى تعسف في الإستنتاج، أو تحميل الوثيقة معان لا تحملها...» (كوثراني، 1996، ص 275).

غياب حوار علمي بين المؤرخين و الباحثين العرب والأترك:

لم يسجل، قبل سنة 1979م، أي حوار علمي جاد بين المؤرخين والباحثين العرب و نظرائهم الأتراك، إذ لم يكن هناك وعي بضرورة التعاون من أجل كتابة التاريخ العثماني استنادا إلى الوثائق الأصلية بوصفه تاريخا مشتركا، وهذا ما أكده المؤرخ عبد الجليل التميمي، حيث يقول في هذا الصدد: «... كانت القطيعة كاملة وعلى جميع المستويات» (التميمي، 1991، ص 23)، لذلك لم يهتم الباحثون العرب بالدراسات التاريخية خلال العهد العثماني، واتسمت كتاباتهم بالسلبية نحو الدولة العثمانية على اعتبار أنها ساهمت في نهاية الحضارة العربية الإسلامية، وأنه لم يكن للعرب دور كبير في التاريخ العثماني (عبد الرحيم مصطفى، 1993، ص 8)، و كذلك كانت صورة العرب لدى الأتراك هي الأخرى جد سيئة بسبب الموقف السلبي لبعض الأتراك من العرب، نتيجة اعتقادهم بأن بعض الزعامات العربية تحالفت مع أعداء الدولة العثمانية ضدها خلال الحرب العالمية الأولى (الجراري، 2004، ص 380)، وذلك بفعل التوجه الأيديولوجي المتطرف الذي أوجده فكر الإتحاديين الذين ساهموا في تجاهل التاريخ العثماني (التميمي، 1994، ص 12).

2 - تغيير نظرة المؤرخين العرب للتاريخ العثماني: ساهمت العديد

من العوامل في تغيير النظرة السلبية للمؤرخين و الباحثين العرب للتاريخ العثماني نذكر منها تراجع الاستشراق الغربي:

شهدت الدراسات الغربية للفترة العثمانية تراجعاً ملحوظاً مما أتاح الفرصة للباحثين العرب لدراسة التاريخ العثماني، أو لإعادة النظر في الكتابات الغربية لتاريخ العهد العثماني بالإعتماد على مصادر أصلية، فقد غاب في الآونة الأخيرة الإستشراق الغربي بأعلامه الكبار عن الساحة الثقافية ذلك أن «... الدراسات الاستشراقية القديمة قامت بدور التحدي العلمي لقدرة الباحث العربي على الإنتاج و الإبداع» (كوثراني، 1996، ص278)، كما ظهر باحثون غربيون جدد لا يحبذون وصفهم بصفة المستشرقين، ويعملون على التخلص منها نظراً لما تحمله الكلمة من معنى أيديولوجي سيئ ومؤثر في العلاقات الثقافية بين الشرق و الغرب؛ وعلى الرغم من اتجاهاتهم السياسية إلا أنهم قدموا خدمة كبيرة في مجال الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني، تتمثل خاصة في تنبيه الباحثين العرب إلى أهمية الرجوع إلى الوثائق الأصلية العربية منها و العثمانية، وكذلك التنويه بأهمية الوثائق الأرشيفية العثمانية الموجودة في أرشيفات الدولة التركية، وتحديدًا تلك الموجودة في أرشيف رئاسة مجلس الوزراء بإسطنبول، نظراً لكونهم سبقوا العرب في إدراك أهمية الوثائق العثمانية في الدراسات التاريخية إبان فترة الحكم العثماني، ولعل ذلك راجع بالدرجة الأولى للإمكانيات المادية المتاحة للباحثين في الغرب والتي يفتقدها الباحث العربي (كوثراني، 1996، ص272-273).

بداية إهتمام المؤرخين العرب بالتاريخ العثماني:

خلال العقدين الأخيرين من القرن 20م ظهر اهتمام ملحوظ من طرف بعض الباحثين العرب بالدراسات التاريخية للعهد العثماني استناداً إلى المصادر و الوثائق الأرشيفية، حيث شهدت أعمالهم تحرراً من الخطاب الأيديولوجي، فكانت أعمالاً علمية جادة متخذة الوثيقة العربية و العثمانية الأصلية منهجاً لدراسة التاريخ العثماني (كوثراني، 1996، ص272).

كانت البداية في ستينيات القرن 20م في القاهرة في شكل محاولات فردية محتشمة ومتواضعة على يد شفيق غربال و زينب نور الدين وعزت عبد الكريم، هذا الأخير الذي قام بعقد أول مؤتمر دولي حول مصادر تاريخ البلاد العربية أثناء العهد العثماني سنة 1975م، ”وقد نادى هؤلاء الرواد بالإهتمام بالعهد العثماني وتوظيف أرصدة المعلومات الأرشيفية الجديدة التركية والعربية على حد سواء، والعمل على تبني منهجية علمية بعيدة عن منظومة الشعارات السياسية القومية“ (التميمي، 1996، ص280)، و في هذا الصدد قامت مؤسسة التميمي في تونس منذ سنة 1982 بعقد مؤتمر دولي كل سنتين حول العهد العثماني، كما أنشأت المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية (التميمي، 1996، ص281).

و من الباحثين العرب الذين اهتموا بالدراسات التاريخية العربية خلال العهد العثماني نذكر: عبد الكريم رافق وليلى الصباغ من سوريا، عصام خليفة ووجيه كوثراني ومسعود ضاهر من لبنان، سيار الجميل وعبد السلام رؤوف من العراق، عبد الرحيم عبد الرحمان وليلى عبد اللطيف من مصر، عدنان البخيت من الأردن، محمد عبد الله آل زلفة من السعودية، محمد الهادي شريف وعبد الجليل التميمي من تونس (التميمي، 1996، ص281)، و من الجزائر ناصر الدين سعيدوني (كوثراني، 1996، ص276) بالإضافة إلى باحثين آخرين كانت لهم مساهمة فعالة في هذا المجال أمثال : لمنور مروش ، فاطمة الزهراء قشي ، عائشة غطاس، كمال فيلاي، جميلة معاشي، خليفة حماش، فتيحة الواليش، فلة موساوي.. (قشي، 1999، 2007).

كما ظهرت بعض المبادرات الجادة في مجال الدراسات التاريخية العربية في العهد العثماني في شكل وحدات بحثية أو جمعيات أو مراكز توثيق في البلاد العربية نتيجة الوعي بأهمية هذه الدراسات نذكر منها: مؤسسة التميمي بتونس، جمعية الدراسات العثمانية ببيروت، مركز الدراسات التركية بجامعة الموصل، جمعية الدراسات العثمانية بالجزائر، المركز المصري للدراسات العثمانية (التميمي، 1991، ص28)، مركز الوثائق التاريخية بدمشق، المكتبة الوثائقية العثمانية بعمان (كوثراني، 1996، ص272).

توجه الأتراك للإهتمام بالتاريخ العثماني:

بدأ الأتراك مؤخراً بالاهتمام بالتاريخ العثماني، فعلى المستوى الأكاديمي ظهر باحثون أتراك أدركوا أهمية الرجوع إلى التاريخ العثماني، كونه يشكل جزءاً كبيراً من تاريخ الدولة التركية إنطلاقاً من الوثائق العثمانية الأصلية الموجودة بالأرشيف العثماني بتركيا، و من أمثلتهم: خليل إينالجيك و خليل ساحلي أوغلو، فكانت لهم أعمال أكاديمية متميزة، شكلت مرجعية تاريخية مهمة لدراسة التاريخ العثماني (كوثراني، 1996، ص 277)، كما كانت هناك مبادرات تركية لمؤسسات أكاديمية وجمعيات ثقافية ساهمت في توجيه الأنظار إلى دراسة الوثائق العثمانية، وكذلك في إرساء التفاهم والحوار بين المؤرخين العرب و المؤرخين الأتراك منها:

- مبادرة عميدة جامعة حاجتبه بأنقرة، أمال دغراماجي حيث نظمت إنطلاقاً من سنة 1979م لقاءات أنقرة و طرابلس و اليرموك و اسطنبول.

- إنشاء مؤسسة وقف لدراسة العلاقات العربية التركية منذ سنة 1984م بإسطنبول تقوم بنشر دورية سنوية بعنوان: Studies on Turkish Arab relations (التميمي، 1991، ص 30).

أما على المستوى الرسمي فقد بدأ انفتاح لدى السلطات التركية على التاريخ العثماني بعدما كان مهمشاً في تركيا بفعل تأثير دعوة حركة التاريخ القومي التركي التي نادى بها الكماليون، ويتضح ذلك من خلال توطيد العلاقات الثقافية خاصة التركية العربية لقراءة التاريخ العثماني بوصفه تاريخاً مشتركاً من خلال إنشاء مراكز الأبحاث، وعقد المؤتمرات والندوات الدولية بين تركيا والدول العربية في مجال الدراسات التاريخية، بالإضافة إلى تسهيل الإطلاع على الأرشيف العثماني برئاسة الوزراء بتركيا (كوثراني، 1996، ص 271).

كما ظهر في الآونة الأخيرة خاصة مع وصول حزب العدالة و التنمية للحكم في تركيا اهتمام متزايد بقضايا إسلامية عربية، جعلت السياسة التركية في عهد هذا الحزب توصف بأنها عبارة عن نزعة عثمانية جديدة

مستمدة من دوافع تاريخية حيث “ يعاد تذكير الأتراك بالمجال الجيوسياسي العثماني وبالماضي الإمبراطوري بما كان يحمله من تمدد ثقافي وديني “ (نوفل، 2012، ص 260)، وعليه فتغيير توجهات الحكومة التركية ساهم في اندفاع النخبة التركية نحو إعادة إحياء مجد الدولة العثمانية بالرجوع إلى التاريخ العثماني.

ثانياً: وثائق الأرشيف العثماني في الدولة التركية

تعتبر الوثائق العثمانية بأرشفات الدولة التركية مصادر أصلية جد مهمة للدراسات التاريخية العربية، إذ اتضح مؤخراً مدى الحاجة لتوظيفها لتفسير الكثير من القضايا التاريخية للعهد العثماني على الرغم من صعوبة الوصول إليها.

1- حاجة المؤرخ و الباحث العربي لوثائق الأرشيف العثماني:

إنّ افتقار البلاد العربية إلى الوثائق المختلفة التي تخص تاريخ هذه البلاد خلال الحكم العثماني يجعل من ذلك التاريخ سلسلة من الأحداث المتقطعة الحلقات، و التي تتخللها فترات غامضة صعبت من مهمة الباحث في التأريخ لها واستنباط أحداثها وتفسيرها، نظراً لكون الوثائق الأرشيفية تمثل الأصول التاريخية التي يركز عليها البحث التاريخي (حلاق، 2003، ص 63)، فالمؤرخون المغاربة أخذوا من كتابات ومؤلفات الغرب في دراساتهم التاريخية عن بلدانهم، و قام المؤرخون المشاركة بدورهم بترجمة المؤلفات الغربية إلى اللغة العربية دون الرجوع إلى الوثائق العثمانية في دور الوثائق بتركيا التي تشكل مصدراً أصلياً لكتابة تاريخ البلاد العربية خلال العهد العثماني، والتي تساهم في “... إقرار أحكام تاريخية لما توفره من مصادر بكر للمؤرخين المغاربة وكذلك لمؤرخي الشرق“ (التميمي، 1972، ص 12).

يعاني المؤرخ العربي من افتقار الوثائق كمصدر تاريخي في الدراسات العربية خلال العهد العثماني، ولعل ذلك راجع إلى قلة الإهتمام بدور الوثائق في كثير من الدول العربية، إلى جانب قلة الوثائق نفسها وتفرقتها في البلاد العربية، وكذلك في البلدان الأجنبية وخاصة تلك الوثائق

العثمانية الموجودة في الأرشيف التركي وهي كثيرة ومتنوعة، وبذلك أصبح لدى الباحثين العرب المختصين في الدراسات التاريخية للبلاد العربية خلال العهد العثماني قناعة وإدراك أن الوثائق العثمانية الموجودة بأرشيفات الدولة التركية تعد من بين أهم المصادر في كتابة تاريخ الإيالات العربية العثمانية، مما يكمل الحلقات المفقودة أو الغامضة ويفسر الأحداث عن تاريخ البلدان العربية في فترة الحكم العثماني (حلاق، 2003، ص 64)، فالأرشيف العثماني بتركيا غني بالوثائق العثمانية الخاصة بالبلاد العربية، فمثلا نجد المؤرخ توفيق المدني قام بجمع و تصوير حوالي أربعة آلاف (4000) فرمانا سلطانيا خاصة بالجزائر في تركيا (بن حموش، 2000، ص 17).

فالوثائق العثمانية تمثل في معظمها مراسلات ومكاتبات رسمية كتبت من طرف مسؤولين سواء كانوا في الدولة العثمانية أو في الولايات العربية للدولة العثمانية، والتي كانت تعبر عن وجهات نظرهم وردود أفعالهم من الأحداث التي عاصروها وعاشوها وشهدوا تطوراتها بشكل مباشر، مما أبعده احتمال وجود أية غاية أخرى قد تمس بالحقائق التاريخية (معروف، 1997، ص 5)، كما تبرز الأهمية التي تكتسيها المصادر في الأرشيف العثماني بتركيا في وجود أعداد كثيرة من الوثائق باللغة العربية حررت من قبل مسؤولين في الولايات العربية لها أهمية في دراسة تاريخ تلك البلاد (معروف، 1997، ص 6).

2- صعوبات التعامل مع الأرشيف العثماني لدى المؤرخ العربي:

على الرغم من الأهمية البالغة للوثائق العثمانية الموجودة في أرشيفات الدولة التركية، إلا أن هناك بعض المشكلات والصعوبات التي تواجه الباحث العربي، و المتمثلة في كيفية الاستفادة و التعامل مع هذه الوثائق الأرشيفية، وكيفية توظيفها في الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني، فهذه الصعوبات تقف عائقا أمام إمكانية وصول الباحث العربي إلى الوثائق العثمانية، وحتى إن تمكن من الوصول إليها يصطدم بالعديد من الحواجز و العراقيل التي تجعل من البحث أمرا في غاية الصعوبة، فمنها ما تعلق بالجانب العلمي الذي يتمثل أساسا في مشكلة اللغة، ومنها ما هو تقني إداري بالإضافة إلى الجانب المادي.

مشكلة اللغة:

تعتبر اللغة المشكل الأساسي والرئيسي والأهم من بين المشاكل التي تواجه الباحث العربي في دراسته للوثائق العثمانية، سواء ما تعلق منها باللغة التركية الحديثة التي نظمت بها تلك الوثائق أو باللغة العثمانية لغة الوثائق نفسها، ومنه فعلى الباحث العربي الإلمام باللغتين التركية والعثمانية معا. فاللغة التركية الحديثة تعتبر من العلوم الأساسية المساعدة للدراسات التاريخية العربية خلال العهد العثماني، فعدم إجادة وإتقان الباحث العربي لهذه اللغة يشكل صعوبة كبيرة في تعامله مع الوثائق العثمانية في أرشيفات الدولة التركية، نظرا لكون فهارس الأرشيفات الموجودة في تركيا قد كتبت ونظمت باللغة التركية الحديثة لا اللغة العثمانية رغم أن هذه الأخيرة تعتبر لغة الوثائق (الجراري، 2004، ص 383). كما أن تدريس اللغة التركية الحديثة لا يزال في طور التكوين في البلدان العربية، فالجامعات العربية التي تدرس هذه اللغة تكاد تكون محدودة (الإبراهيم، 2004، ص 207).

أما اللغة العثمانية فكانت لغة الدولة في عهد الخلافة العثمانية، وتعتبر اللغة التي كتبت بها الوثائق الموجودة في أرشيفات الدولة التركية، وقد كتبت بخط اليد و بأحرف عربية، وهي مزيج من عدة لغات تجمع كما هائلا من المفردات التركية و العربية و الفارسية، إذ تمثل «إشكالية جديدة للباحث ولاسيما أن تلك اللغة بتلك الأحرف تكاد تكون غير مستخدمة في أوساط الباحثين» (الروقي، 2004، ص 402)؛ لذلك فإن دراسة الوثائق الأرشيفية خلال العهد العثماني تستوجب الإلمام بقواعد اللغة العثمانية و التغيرات التي طرأت عليها خلال فترة الخلافة العثمانية، ففي الفترة الأولى من الحكم العثماني كانت تعبر عن لغة الأتراك حيث امتازت تعابيرها بالبساطة وعدم التكلف، غير أنها في الفترة الأخيرة من العهد العثماني ونتيجة للإحتكاك الكبير بالثقافات المختلفة آنذاك أصبحت اللغة العثمانية أكثر تعقيدا، مما يجعل الوثائق العثمانية في الفترة المتأخرة للخلافة العثمانية أكثر صعوبة على الفهم و القراءة، لذلك فعلى الباحث العربي في مجال الدراسات التاريخية للعهد العثماني أن يلم بمختلف قواعد اللغة العثمانية، وكذلك

مختلف التغيرات التي طرأت عليها خلال الحقب الزمنية كمرحلة أولى لتعلم هذه اللغة (كورشون، 2003، ص 442-443).

الصعوبات الإدارية:

لم تهتم الدولة التركية الحديثة كثيرا بالأرشيف العثماني نظرا لكون الإتجاه العلماني التركي كان مسيطرا على توجهات الدولة منذ ثورة كمال أتاتورك وظهور دولة تركيا الحديثة على أنقاض الخلافة العثمانية (1924)، وقد حمل هذا الإتجاه فكر التنكر للخلافة العثمانية الإسلامية والتاريخ العثماني، مما أدى إلى اللامبالاة بالوثائق العثمانية والتحفظ عليها وعدم الإهتمام بها، أو حتى تسهيل الإطلاع عليها للمؤرخين والباحثين الأجانب بما فيهم العرب نظرا لحاجتهم لهذه الوثائق التي تمثل جزءا مهما لدراسة تاريخ بلدانهم (الجراري، 2004، ص 381). كان لهذا الفكر انعكاسات سلبية على تاريخ تركيا خلال العهد العثماني، كما أثر على الثقافة الأرشيفية و على الدراسات التاريخية، وساهم في إيجاد نوع من الإجراءات الإدارية -التي كانت سائدة إلى فترة قريبة- زادت من صعوبات البحث في رحلة الإطلاع على الوثائق العثمانية في أرشيفات الدولة التركية، نذكر منها:

البيروقراطية الإدارية و تتمثل في إجراءات الحصول على ترخيص يخول للباحثين دخول الأرشيف العثماني لتصفح الوثائق الموجودة به، و تتمثل كذلك في عملية الإستنساخ المعقدة والتي تخضع هي الأخرى إلى إجراءات إدارية معينة زادت من المشكلات والعوائق أمام الباحث العربي، هذا بالإضافة إلى تحديد عدد الوثائق المسموح بها لكل باحث (الجراري، 2004، ص 382). شكلت البيروقراطية الإدارية عائقا كبيرا أمام الباحثين العرب، لذلك نجد الكثير منهم يعزف عن دراسة الوثائق العثمانية، مما يفسر قلة الإهتمام بالدراسات التاريخية العربية خلال العهد العثماني، حيث أن " الوثيقة التاريخية في الأرشيف العثماني في استنبول تمثل السهل الممتنع، وفي الوقت نفسه الممكن لكنه مستحيل " (الروقي، 2004، ص 402). كما أن بعض الوثائق لا يسمح للباحثين بالإطلاع عليها موجودة ضمن

وثائق الديوان الهمايوني، وتتمثل في نصوص سياسية لمعاهدات ومراسلات عقدت بين الدولة العثمانية ومختلف الدول الأجنبية، وهي موجودة ضمن أوراق صندوق الرسائل والتي تخص بعض المسائل الخارجية الهامة ذات الموضوعات المختلفة، حيث يوجد داخل هذه المجموعة أيضا قسم من المعاهدات التي عقدت ما بين سنوات 1838-1971م (أقطاش وبنيارق، 1986، ص 394).

تصنيف الوثائق: تم تصنيف الوثائق العثمانية بالأرشيف العثماني بتركيا بناء على المصدر الأصلي للوثيقة، حيث لا يوجد في سجلات الفهارس بالأرشيف سوى ملخص وجيز يتحدث عن موضوع واحد، رغم أنه في بعض الوثائق قد تحتوي الوثيقة الواحدة على مواضيع كثيرة مختلفة ومتنوعة، مما يستلزم من الباحث ضرورة الاستعانة بالخبراء والملمين بمحتوى الأرشيف (صابان، 1997، ص 60). زيادة على ذلك يفتقد الأرشيف العثماني بتركيا إلى نظام عصري رقمي حديث يعتمد على الوسائل التقنية الحديثة التي تمكن الباحث من تسهيل الوصول إلى الوثيقة واستنساخها عبر قوائم منظمة ومبسطة وشاملة لكل الوثائق الموجودة بالأرشيف، مما يقلل من إمكانية الإطلاع على عدد كبير من الوثائق، ويحد من قدرة الباحث في الوصول إلى كل ما يريده (الجراري، 2004، ص 382-383).

الصعوبات المادية:

نظرا للمشاكل السابقة الذكر من صعوبات لغوية وعراقيل إدارية تقنية كان لابد للباحث العربي المكوث لمدة طويلة في تركيا حتى يتمكن من الحصول على معظم الوثائق التي يحتاجها لإنجاز أبحاثه، ويتطلب هذا مصاريف كبيرة وهو أمر غير متاح لكل الباحثين نظرا للتكاليف المادية والظروف المعيشية للباحث العربي، ناهيك عن الظروف الوظيفية التي لا تسمح للباحث بالإقامة المطولة في تركيا (الجراري، 2004، ص 383).

ثالثاً: وثائق العهد العثماني في أرشيفات البلاد العربية:

نظراً للقيمة التاريخية والعلمية الكبيرة للوثائق الأرشيفية في الدراسات التاريخية للعهد العثماني، فإن الباحث العربي أصبح يدرك تماماً مدى حاجته للإطلاع على تلك الوثائق، ودراستها واستنتاج مختلف الأحكام منها لتفسير الأحداث والوقائع التاريخية الخاصة بالفترة العثمانية، حيث أصبحت هذه الوثائق تشكل المادة الأولية له، إلا أن مشكلات التعامل مع وثائق الأرشيف العثماني بتركيا من صعوبات علمية وإدارية ومادية التي سبق ذكرها، جعلت الباحث العربي يتجه إلى وثائق الأرشيفات المحلية في البلدان العربية، متخذاً منها مصدراً أساسياً يركز عليه في دراسته وأبحاثه التاريخية للعهد العثماني.

وعلى الرغم من الأهمية التي تحتويها الوثائق الأرشيفية العثمانية الموجودة في دور الأرشيف في مختلف البلاد العربية إلا أن الباحث العربي يبقى يعاني من بعض المشكلات في التعامل معها، فضلاً عن كونها لا تكفي وحدها لإعطاء صورة متكاملة عن طبيعة الأحداث والوقائع التاريخية، ونذكر منها:

- أن الوثائق الموجودة في الأرشيفات المحلية بالبلاد العربية لا تشكل إلا جزءاً قليلاً جداً من الوثائق العثمانية إذا ما قورنت بالوثائق الموجودة في أرشيفات الدولة التركية، وبذلك تبقى الدراسات التاريخية العربية خلال العهد العثماني بحاجة إلى الوثائق العثمانية في الأرشيف التركي للوصول إلى نتائج أكثر دقة وشمولاً عن تلك الحقبة الزمنية. «إن اعتماد الدراسات العثمانية على المصادر سهلة البلوغ... جعل نتائج الدراسات تبقى بحدود وجهات نظر مبنية على وجهات نظر سبقتها» (الحديثي، 1988، ص 282).

- وجود الوثائق في أماكن متعددة ومتفرقة في أرشيفات الدولة التركية، وكذلك في بعض الدول الأوروبية كإيطاليا وإسبانيا مثل الرسائل التجارية العديدة المتبادلة بين التجار والرسائل الخاصة بالقناصل وتقارير السفراء، والتي تساهم في دراسة الحياة الاجتماعية والإقتصادية للولايات العربية خلال الحكم العثماني (الإبراهيم، 2004، ص 208).

- وقوع معظم البلاد العربية في دائرة الإستعمار الأوروبي الذي سيطر على جميع الوثائق الخاصة بتلك البلاد؛ ففي الجزائر مثلا خلال الخمس سنوات الأولى من الإحتلال الفرنسي لها تعرض جزء كبير من الوثائق الأرشيفية الخاصة بالعهد العثماني إلى الإتلاف، لكن بعد ذلك أدركت السلطات الفرنسية أهمية تلك الوثائق لمعرفة النظام السابق، فعملت على تنظيمه والحفاظ عليه. وفي السنوات الأخيرة للثورة التحريرية الجزائرية قامت فرنسا بترحيل مختلف الوثائق السياسية والإقتصادية و الثقافية والاجتماعية الخاصة بالفترة الإستعمارية، و حتى وثائق الفترة العثمانية كذلك، و التي قدرت بحوالي 200000 علبة، ثم أودعتها في أماكن مختلفة في فرنسا منها في أرشيف ما وراء البحار (بن حموش، 2000، ص 15-16).

- لم تحظ وثائق أرشيفات البلاد العربية الخاصة بالعهد العثماني بالاهتمام من طرف حكوماتها، حيث تأخرت عملية فهرسة منظمة حديثة لمحتويات الأرشيف تسهل الإطلاع عليه، وفي هذا الصدد يقول عبد الجليل التميمي: "لقد بقي الأرشيف التونسي والجزائري و الليبي، العربي منه و التركي مهملا طيلة قرن ونصف، و مثال على ذلك بقاء أكثر من 500 دفتر عربي و تركي في الجزائر غير مفهرسة و لا عرفت محتوياتها". (كوران، 1970، ص 13). إلا أن الأوضاع تحسنت فيما بعد، بتوفير أدوات البحث و نشر الفهارس و الكشافات (حماش، 1996) مع استمرار بعض العوائق البيروقراطية.

- مشكلات خاصة بالوثائق الموجودة في أرشيفات بعض الدول العربية فهي صعبة القراءة، حيث كان الموظفون الأتراك القائمون على الشؤون الإدارية و المالية في البلاد العربية لا يتقنون جيدا اللغة العربية، مما نتج عنه كثرة الأخطاء و رداءة الأسلوب الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى قراءة خاطئة للوثيقة، فمعظم وثائق بلدان شمال إفريقيا مثلا حررت باللغة العربية و بخط مغربي يختلف جودة و رداءة من دفتر لآخر (حلاق، 2003، ص 64)، و أحيانا تكون الوثيقة غير واضحة بسبب رداءة الحبر الذي كتبت به أو بسبب تأثرها بالعوامل الطبيعية (حماش، 2006، ص 9).

- الوثائق الأرشيفية عن العهد العثماني في البلاد العربية في معظمها خاصة بوثائق الإيالات العثمانية و أوضاعها الداخلية مثل وثائق المحاكم الشرعية، و تشمل مختلف المسائل القضائية كالملكية والأحباس و المنازعات و سجلات البايلك و بيت المال... تخص مختلف المسائل المالية و الإدارية تدون فيها المداخل والمصاريف وغيرها، هذه الوثائق حظيت باهتمام المؤرخين والباحثين العرب، حيث يلجؤون إلى الإعتماد عليها في دراساتهم التاريخية نظرا لسهولة الوصول إليها بالمقارنة مع الوثائق العثمانية في تركيا، فكان التركيز على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والمؤسساتي في الرسائل الجامعية (قشي، 1999، غطاس، 2001، حماش، 2006، الواليس، 2008) والقائمة طويلة.

أما الوثائق الدبلوماسية التي تمثل في المراسلات الثنائية بين السلاطين العثمانيين و ولاية البلاد العربية، كانت معظمها في شكل فرمانات و أوامر سلطانية (بن حموش، 2000، ص17-20)، في هذا النوع من الوثائق تقل الدراسات التاريخية العربية لكون الوثائق في دور الأرشيف العربية وحدها لا تكفي، بل يحتاج الباحث العربي إلى الإطلاع على الأرشيف العثماني في تركيا وكذلك أرشيفات بعض الدول الأجنبية.

وكأمثلة عن وثائق العهد العثماني في البلاد العربية نذكر منها:

أولت الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي اهتماما كبيرا بالتوثيق، فقد كانت بها أعداد هائلة من الوثائق المتنوعة الخاصة بمختلف مراحل العهد العثماني(حماش، 2012، ص7-8)، غير أن فرنسا قامت بترحيل مختلف وثائق الأرشيف الجزائري، و منذ الإستقلال و الدولة الجزائرية تسعى إلى استعادته. وتم استرداد نصيبا كبيرا منها سنة 1975 عند زيارة الرئيس الفرنسي إلى الجزائر. تشمل وثائق الأرشيف الجزائري للعهد العثماني على عقود المحاكم الشرعية التي تتضمن مسائل قضائية تخص الأفراد كالملكيات و الأحباس...، و كذلك دفاتر المهمة أو مهمة دفترية الخاصة بالمواد الدبلوماسية كالمراسلات و الشكاوى، بالإضافة إلى سجلات البايلك و بيت المال التي تخص المسائل الإدارية و المالية المتعلقة بالأموال العامة. هذه

الوثائق تخص بشكل كبير إقليم دار السلطان والقليل منها يخص الأقاليم الأخرى قسنطينة و التيطري و وهران (بن حموش، 2000، ص15-20).

وفي مصر توجد أعداد كبيرة من الوثائق خلال الفترة العثمانية، ولكنها في أماكن متفرقة في دار المحفوظات ودار الوثائق القومية وأرشفات المحاكم الشرعية (حمودة، 1999، ص19).

أما في ليبيا، فتوجد بها مجموعات هامة من الوثائق التي تتصل بالحكم العثماني في ليبيا تفيد في دراسة التنظيم الإداري للولاية و نظام الضرائب وأوامر وتعليمات من السلاطين تتعلق بالتعليم (حمودة، 1999، ص27)، إلا أن الوثائق عن ليبيا في تركيا كثيرة جدا، إذ يؤكد المؤرخ التركي خليل ساحلي أوغلو على ذلك حيث يكتب: «ويلاحظ المهتمون اليوم بتاريخ هذه المنطقة وجود العديد من التقارير والمخطوطات في المكتبات التركية تتناول مسائل كانت تهم هذه الولاية» (أوغلو، 2000، ص165).

و في تونس توجد وثائق عن الحياة الاجتماعية ومخطوطات الطرق الصوفية المنتشرة خلال العهد العثماني، كذلك وثائق الأجهزة الحكومية، و مراسلات الولاية مع الإدارة المركزية العثمانية، ووثائق العلاقات الخارجية، و المعاهدات والمراسلات مع الدولة العثمانية وحتى مع الدول الأجنبية (حمودة، 1999، ص29). كما يتضمن الأرشيف الوطني التونسي الكثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ الجزائر العثماني، خاصة في مجال العلاقات السياسية والتجارية والدبلوماسية والاجتماعية مع تونس و مع الباب العالي (حماش، 2016، ص10-11).

و بالنسبة للمغرب فبالرغم من كونه لم يخضع للحكم العثماني إلا أنه يحوي في أرشيفه على وثائق تخص العلاقات العثمانية المغربية و عديد المخطوطات (بن منصور، 1996، ص28). وتتمثل خاصة في المراسلات الخارجية لملوك الدولة السعدية مع عدد من السلاطين العثمانيين و الباشوات الأتراك بالجزائر (حمودة، 1999، ص38).

خاتمة:

إن الحديث عن الدراسات التاريخية العربية خلال العهد العثماني، و إن شهدت مؤخرا تطورا ملحوظا، إلا أنه يغلب عليها الطابع المحلي، ارتكزت على مواضيع البلدان العربية في فترة الحكم العثماني بالإعتماد على وثائق الأرشيف المحلي كمصدر وحيد دون الرجوع إلى الأرشيف العثماني في الدولة التركية، الذي لا يزال بكرا لما يحتويه من وثائق نادرة تؤرخ للدولة العثمانية و الدول التي كانت خاضعة لها بما فيها البلاد العربية.

فدراسة التاريخ العثماني بحاجة إلى المزيد من البحوث و الدراسات الجادة التي تعتمد على الوثائق الأصلية العثمانية منها و العربية، خاصة بعد حدوث التقارب التركي العربي في العقود الأخيرة، و قيام السلطات التركية بإجراءات تسهل عملية الإطلاع على الأرشيف العثماني، مما أدى إلى فتح آفاق جديدة أمام المؤرخين و الباحثين العرب لتطوير الدراسات التاريخية العربية للعهد العثماني.

واعتبارا من أن التاريخ العثماني تاريخا مشتركا بين الدولة التركية و الدول العربية، فعلى هذه الأخيرة العمل على تشجيع الباحث العربي لخوض غمار البحث في التاريخ العثماني كونه تاريخ لا يخص دولة تركيا وحدها بحدودها الجغرافية الحالية، فلا بد من المبادرة إلى القيام بعمل جاد يساعد على إماطة اللثام عن الوثائق العثمانية و يساهم في كتابة التاريخ العثماني، كتطوير العلوم المساعدة في هذه الدراسات و على رأسها اللغة التركية وحتى العثمانية، ذلك أن مهمة الباحث العربي اليوم لم تعد مقتصرة على دور الوثائق العربية فقط، و لا على دراسة التاريخ المحلي للبلاد العربية خلال العهد العثماني فحسب، بل لا بد من الإطلاع على الوثائق العثمانية الموجودة في أرشيفات الدولة التركية لدراسة تاريخ العهد العثماني.

مصادر ومراجع:

- 1 - إبراهيم، بهاء عبد القادر، «أهمية الوثائق العثمانية في الأرشفات العربية»، مجلة الوثائق العربية، عدد22، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2004م/1425هـ.
- 2 - أقطاش، نجاتي، و بنيارق، عصمت، الأرشيف العثماني فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء باستنبول، ترجمة صالح سعداوي صالح ، تقديم أكمل الدين إحسان أوغلو، مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، عمان، 1986.
- 3 - أوغلو، أحمد داود، العمق الإستراتيجي موقع تركيا و دورها في الساحة الدولية، ط2، ترجمة محمد جابر ثلجي و طارق عبد الجليل، مراجعة بشير نافع و برهان كوروغلو، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2011.
- 4 - أوغلو، خليل ساحلي، ”من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني“، بحوث ووثائق وقوانين، تقديم أكمل الدين إحسان أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استنبول، 2000.
- 5 - بيات، فاضل، ”دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني“، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003.
- 6 - التميمي، عبد الجليل، ”إشكالية البحث التاريخي العربي عن الولايات العربية أثناء العهد العثماني“، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد04/03، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، ديسمبر1991.
- 7 - التميمي، عبد الجليل، ”الدراسات العربية المهمة بالتاريخ العثماني“، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد14/13، مؤسسة التميمي(أفترسي)، زغوان تونس، أكتوبر1996.
- 8 - التميمي، عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس الجزائر ليبيا من1816-1871م، تقديم روبر مانتران، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

- 9 - التميمي، عبد الجليل، دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453-1918م، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي)، زغوان تونس، مارس 1994.
- 10 - الجراري، محمد الطاهر، «أهمية التعاون بين الدول العربية للإستفادة من الأرشيف العثماني»، مجلة الوثائق العربية، عدد 22، بحوث ندوة الأرشيف العثماني التي عقدتها دار الملك عبد العزيز في الرياض 16/13 ماي 2001، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2004.
- 11 - الحديشي، نزار، مشاكل الدراسات العثمانية في الوطن العربي، الحياة الاجتماعية فيالولايات العربية أثناء العهد العثماني، تقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق و المعلومات، تونس، 1988.
- 12 - حلاق، حسان، الأرشيف والوثائق والمخطوطات، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2003.
- 13 - حماش، خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، دكتوراه دولة، جامعة منتوري- قسنطينة، 2006.
- 14 - حماش، خليفة، كشاف واثق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية، نو ميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2012.
- 15 - حماش، خليفة، كشاف واثق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، ج1، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016.
- 16 - حمودة، محمود عباس، الوثائق العثمانية في تركيا ومصر ودول شمال إفريقيا، دار غريب، القاهرة، 1999.
- 17 - بن حموش، مصطفى أحمد، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ط1، دار البحوث الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2000.
- 18 - عبد الرحيم مصطفى، أحمد، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط 2، القاهرة، 1993.

- 19 - الروقي، عايض بن حزام، «الوثيقة التاريخية العثمانية في الأرشيف العثماني في استنبول بين السهل الممتنع والممكن المستحيل»، مجلة الوثائق العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2004.
- 20 - صابان، سهيل، «الأرشيف العثماني مصدرا من مصادر تاريخ الجزيرة العربية»، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، عدد1، الرياض، محرم جمادة الآخرة 1418هـ الموافق ل ماي أكتوبر1997.
- 21 - غربي، الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 22 - غطاس، عائشة، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2001.
- 23 - كوثراني، وجيه، «التأريخ للعهد العثماني من خلال نماذج من مؤتمرات تونس التحول والإشكالية»، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، عدد13/14، مؤسسة التميمي (أفترسي)، زغوان تونس، أكتوبر1996.
- 24 - كوثراني، وجيه، «تاريخ التأريخ»، اتجاهات-مدارس-مناهج، ط2، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.
- 25 - كوران، أرجمنت، السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.
- 26 - كورشون، زكريا، «الخصائص الأساسية للمكاتبات الرسمية في وثائق الأرشيف العثماني»، الوثائق العثمانية في الأرشيفات العربية والتركية، بحوث ندوة الأرشيف العثماني المنعقدة في الرياض خلال 19-22 صفر1425هـ الموافق ل 13-16 ماي 2001، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1425هـ.
- 27 - معروف، سنان، وثائق عربية من الأرشيف العثماني في أحوال العراق السياسية والاجتماعية خلال العهد العثماني، ط1، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، لندن، 1997.
- 28 - بن منصور، عبد الوهاب، «بداية الإهتمام في المغرب بالأرشيف العثماني لكتابة تاريخ العلاقات التركية المغربية»، المجلة التاريخية

- العربية للدراسات العثمانية، عدد 14/13، مؤسسة التميمي (آفترسي)، زغوان تونس، أكتوبر 1996.
- 29 - نوفل، ميشال، «العثمانية الجديدة و الشرق الأوسط رؤية عربية»، عودة العثمانيين الإسلامية التركية، ط 4، مركز المسير للدراسات والبحوث في الإمارات العربية المتحدة، 2012.
- 30 - قشي، فاطمة الزهراء، «الدراسات العثمانية في الجامعة الجزائرية»، بحوث المؤتمر الخليجي المغاربي الثاني حول التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي، الرياض فبراير 2006، دار الملك عبد العزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2007، ص، 335-362.
- 3 - 1 قشي، فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع في القرن 13هـ - (19-8م)، دكتوراه الدولة، جامعة تونس الأولى، 1999.
- 32 - قشي، فاطمة الزهراء، الزواج والأسرة في قسنطينة القرن الثامن عشر، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
- 33 - الواليش، فتيحة، الأسرة في مدينة الجزائر في القرنين 17 و 18م، القرابة، المصاهرات والثرات، رسالة دكتوراه، المدرسة العليا للدراسات الاجتماعية، باريس، 2008. (نشرت سنة 2016).
- 34 - Loualich, Fatiha, La famille à Alger 17-18^e siècles, parenté, alliance et patrimoine, éditions Bouchène, 2016.

وقت الفراغ والترويح وعلاقتهما بانحراف الشباب

د. فتيحة حمادي

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

fhamadi47@gmail.com

ملخص

يهيئ وقت الفراغ المناخ المناسب للانحراف من خلال ما يمارس فيه من أنشطة ضارة كمخالطة رفقاء السوء ومشاهدة أفلام العنف والجريمة ... فتسبب كبيرة من الانحرافات يرتكبها الشباب أثناء وقت الفراغ. تزداد مشكلة الفراغ خطورة عندما يتعلق الأمر بالشباب حيث يمثلون القاعدة العريضة في الهرم السكاني لمجتمعنا، والقوة الفاعلة فيه، ولديهم فائض من الطاقة يحتاج أن يصرف في الخير والأصرف في الشر، لهذا يجب الحرص على تحويل وقت الفراغ إلى وقت للترويح حتى نحمي الشباب من خطر الانحراف.

نتناول في هذا المقال:

- علاقة وقت الفراغ وغياب الترويح بانحراف الشباب.
- أهمية الترويح في حماية الشباب من الانحراف.

الكلمات المفتاحية: وقت الفراغ، الترويح، الانحراف، الشباب، الأنشطة الترويحية.

مقدمة

يعدُّ الشباب ثروة حقيقية في أي مجتمع، فهو العنصر الأساسي في رأس المال البشري، حيث يمتلك القدرة على العمل والإنتاج والإبداع، ويشكل شريحة كبيرة من السكان على العموم. ويمثل أكبر شريحة في المجتمع الجزائري، يُكوّن أكثر من 70٪ من تركيبة المجتمع، (دردوس، 2002، ص 155). وتمثل فئة الشباب من (15-29) عاما نسبة 30٪ من المجتمع. (Meraihi, 2010, p.8).

Abstract

Free-time sets the suitable climate for deviance through the harmful activities practiced within it as meeting bad companions, watching movies of violence and crime...etc. so a big rate of deviances are committed by youth during free-time.

The problem of free-time becomes more serious as it is affecting young people who represent the largest base in the population pyramid of our society, and they are its driving force. Also they enjoy an overflow of energy that needs to be exploited in good deeds otherwise it will be deviated to bad ones.

Consequently, it should be take care of using the free-time in utile activities in order to preserve our youth from the risk of deviance.

In this article, we tackle:

- Free time and the absence of leisure, and their relationship with youth deviance.
- The importance of leisure to protect youth from deviance.

Keywords: free-time, leisure, deviance or deviancy, youth, leisure activities

تعتبر سمة التناقض أهم ملمح من ملامح وضعية الشباب، إذ أصبح في أيامنا هذه يرتبط في نظر المجتمع بالعديد من الآفات الاجتماعية كالبطالة، المخدرات، العنف، الانحراف... الخ. و غالبا ما ينظر إليهم كعبء على المجتمع، وناذرا ما يعتبرونهم موردا للوطن وركيزة من ركائز المستقبل. والأكثر من ذلك أن الشباب استدخل هذه النظرة السلبية، مما نتج عنه شعورهم بالتخلي والذنب والتمرد (le consulté <https://www.salato-youth.net/> 2017/02/04).

يشكل الشباب شريحة اجتماعية خاصة تواجه العديد من الإكراهات والمشكلات، منها مشكلة الفراغ وغياب الترويح. إن الفشل في التعليم وقلة فرص العمل جعل وقت الفراغ ينتشر بين الشباب، وترتب عنه لجوءهم إلى الانحراف للتعبير على رفضهم وتمردهم على الظروف الصعبة التي يعيشونها. علاوة على ذلك أصبح وقت الفراغ مصدرا للقلق والملل للكثير منهم، مما يدفعهم إلى هدره في اللهو والعبث، والجلوس في المقاهي، والتسكع في الشوارع... الخ. مثل هذه الظروف تهيئ المناخ المناسب للانحراف، كالإدمان على المخدرات والمسكرات، العنف، الانضمام إلى رفاق السوء والعصابات، السرقة، الانحرافات الجنسية، حرب العصابات في الأحياء الجديدة، الإدمان على المواقع الإباحية. وكل هذا يمثل إهدارا لطاقة بشرية، مجتمعنا في أشد الحاجة إليها لتحقيق التنمية. فإن الشباب إذا لم يجد الرعاية والتوجيه قد ينقلب إلى عامل هدم واضطراب، ويكون بذلك عبئا على كاهل مجتمعه بدلا من أن يكون عاملا من عوامل تقدمه ونهضته.

يوجد نقص كبير في رعاية الشباب في وقت فراغهم؛ كعدم توفر مرافق كافية للترويح، عزوف الشباب عن ممارسة الأنشطة الترويحية أو الانخراط في الجمعيات المختلفة، غياب ثقافة الترويح في مجتمعنا، الوضع المادي للأسر، عدم توفر الأنشطة الجوارية. كما أن الكثير من الشباب يمارسون أنشطة ترويحية سلبية.

نحاول في هذا المقال الإجابة على التساؤلات التالية:

- هل توجد علاقة بين وقت الفراغ وغياب الترويح وبين انحراف الشباب؟
- هل يسهم الترويح في حماية الشباب من الانحراف؟
- ما نوع الأنشطة الترويحية السائدة عند الشباب؟
- هل توجد فروق في الأنشطة الترويحية بين الشباب؟

1- تحديد المفاهيم

1-1 الشباب:

يوجد خلاف بين الباحثين في تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها تحديدا زمنيا دقيقا. فطول مرحلة الشباب وقصرها يختلف باختلاف الثقافات، وباختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والحضاري للمجتمع.

حددت منظمة الأمم المتحدة الشباب بأنهم الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15-24 سنة (<http://www.unesco.org/new/ar/social-and-humain-30>) (2016/12/sciences consulté).

هناك من يرى أن الشباب هم الشريحة من 15-25 سنة، وتمتد عند البعض حتى سن 30 وعند البعض الآخر تصل لغاية 35 سنة. تختلف الفئة العمرية للشباب في الجزائر، فوزارة العمل والتشغيل والضمان الاجتماعي تحدد مرحلة الشباب بين 18-35 سنة، في حين وزارة الشباب والرياضة تحدها بين 18-30 سنة (04/2017/https://www.salto-youth.net consulté le). أما في التشريعات القانونية، المشرع الجزائري عرف الشاب هو ذلك الشخص بين 18-30 سنة والذي اعتبره قانون العقوبات مسؤولا قضائيا ويعاقب عن كل فعل أو سلوك مخالف للسلوك العام (فرج، 1976، ص 386).

يحمل الإدراك الاجتماعي للشباب تناقضا، ينظر للشباب كقوة للتغيير والتجديد وفي نفس الوقت ينظر إليهم كخطر يهدد التماسك الاجتماعي (Meraihi, op.cit., p.56). فقد ارتبط الشباب الجزائري بفكرة كونه مصدر

للأزمات الاجتماعية، كأزمة التعليم، أزمة العمل، أزمة السكن، على العموم هناك صورة سلبية عن الشباب.

تعاني نسبة كبيرة من الشباب من البطالة، من خلال الإحصائيات الحديثة للديوان الوطني للإحصاء، بلغ عدد البطالين 1337000 بطالا وقدرت نسبة البطالة بـ 11,2٪ على المستوى الوطني وذلك في سبتمبر 2015، مسجلا ارتفاعا يقدر بـ 0,6٪ مقارنة بسبتمبر 2014. أما معدل البطالة لدى الشباب من فئة (16-24) عاما قدر بـ 29,9٪، و من الملاحظ أن أكثر من 55,7٪ من البطالين غير مؤهلين و لا يحملون شهادات (Office national des statistiques) (2015,septembre) Activité ,Emploi et Chômage, www.Ons.dz.consulté le (2016/12/16).

توفر البطالة وقتا فراغا كبيرا للشباب، وعندما يتعلق الأمر بوقت الفراغ عند الشباب يكون الفساد أشد والخسارة أكبر، لأن وقت الفراغ عند الشباب ليس له نفس الأثر كما هو عند كبار السن المتقاعدين، حيث يمثل الشباب القاعدة العريضة في الهرم السكاني للمجتمع والقوة الفاعلة فيه، ولديهم فائض من الطاقة يحتاج أن يصرف في الخير وإلا صرف في الشر.

2-1 وقت الفراغ والترويح:

يعرف (عاطف غيث) وقت الفراغ بأنه: «الوقت الفائض بعد خصم الوقت المخصص للعمل والنوم والضروريات الأخرى من الأربع والعشرين ساعة» (غيث، 1979، ص ص 270-271).

للوصول إلى مفهوم متفق عليه، نقدم تعريفا جاء في مؤتمر للجامعة العربية سنة 1994: «هو الوقت المتبقي للفرد خارج نشاطاته المهنية والحيوية، الوقت الذي يستثمر في نشاطات اختيارية بهدف إرضاء رغباته الشخصية والمساهمة في التطور الاجتماعي»، Meraihi, (op.cit., p.116).

أجريت دراسة بفرنسا حول استعمال الوقت (l'emploi du temps) وبينت أربعة أوقات هي:

- الوقت الفيزيولوجي: خاص بالنوم، النظافة، الأكل... الخ.
- وقت العمل أو الدراسة.
- وقت الأعمال المنزلية: خاص بالتنظيف، الغسيل، التسوق... الخ.
- وقت للترويح: خاص بالتنزه، مشاهدة التلفزيون، ممارسة الرياضة، القراءة... الخ (Ibid, pp.116-117).

يعدُّ وقت الفراغ مفهوماً أكثر شمولاً من مجرد الوقت المحرر من الالتزام بالعمل، حيث يحول إلى وقت للترويح (temps de loisir) (عمران، 2000، ص 58).

يعرف الترويح بأنّه: «النشاط الذي نمارسه خلال الأوقات التي نتحرر منها من الانشغالات العادية (العمل، تسيير المنزل، تربية الأولاد...) وما يتبعها من التزامات (كالمواصلات) ويسمى أيضاً بالوقت الحر. (Meraihi, op.cit., p.115).

يعرفه عالم الاجتماع الفرنسي (Joffre Dumazedier) بأنه: «مجموعة الانشغالات أين يتفرغ الفرد بكامل إرادته للراحة، أو التسلية، أو يطور معلوماته أو تكوينه، أو مشاركته الاجتماعية التطوعية، أو قدراته الإبداعية، بعد أن يكون قد تحرر من التزاماته المهنية، الأسرية والاجتماعية» (cité par Pronovost, 1983, p.149).

يتضمن الترويح مفهومين رئيسيين: الوقت والنشاط، فيما يخص الوقت، فهو ذلك الوقت الحر المتبقي من الوقت المخصص للعمل، أو النوم... الخ ويطلق عليه بالوقت الحر، كما يتضمن أيضاً الترويح مفهوم النشاط أو الأنشطة، كالأنشطة الرياضية، الثقافية... الخ وتصنف الأنشطة إلى أنشطة فعالة (activités actives) وتعني الممارسة الفعلية لأنشطة الترويح، وإلى أنشطة سلبية (activités passives) وتعني الوقوف عند حدود المشاهدة والاستقبال وعدم المشاركة. (Ibid., p.56).

يبقى وقت الفراغ مفهوماً غامضاً، يتسم بالنسبية إلى حد كبير، يتضمن جوانب إيجابية وجوانب سلبية، يستخدم بطريقة إيجابية كتحويله إلى وقت لممارسة أنشطة ترويحية (activités de loisirs) ويطلق عليها أيضاً بأنشطة قضاء وقت الفراغ (activités de temps libre) وتعد أساليب علاجية ووقائية لكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية. أو يستخدم بطريقة سيئة ويصبح هنا مشكلة خطيرة تهدد الفرد والمجتمع، ويقصد به في هذه الحالة الوقت الضائع أو الوقت الفارغ الذي يعيش فيه الفرد حالة من العث واللهو السلبي والضار، والذي قد يؤدي إلى وقوع الفرد في مشكلات منها الانحراف.

1-3 الانحراف:

يعرف الانحراف بأنه: « ظاهرة نفسية اجتماعية تتجلى في سلوك شاذ ينفر منه المجتمع ويتعارض مع قيمه ومبادئه الدينية والخلقية » (جوتي، 2011، ص 89).

الانحراف هو: « كل أنواع السلوك الاجتماعي الشاذ التي يرى فيها المجتمع خروجاً على قواعده وقوانينه وقيمه وتقاليده، كالسرقة، السلب، الاغتصاب، التزوير، التشرد، تعاطي المخدرات » (الشيباني، 1987، ص 324).

يرتبط مفهوم الانحراف بمفهوم آخر وهو جنوح الأحداث، والمفهومان متداخلان، إلا أن أحدهما -الانحراف- تتسع دائرته لتشمل عناصر معينة لا تشملها دائرة المفهوم الثاني، والشيء الآخر، أن الجنوح عادة ما يرتبط بفئة معينة من المجتمع وهم الأحداث، أما الانحراف فيشمل جميع فئات المجتمع (مصباح، 2003، ص 243). جنوح الأحداث يخص المخالفات القانونية للأطفال والمراهقين الذين لم يبلغوا سن الرشد القانوني أي 18 سنة (ميموني، 2003، ص 243).

2-علاقة وقت الفراغ وغياب الترويج بانحراف الشباب

استفحلت ظاهرة الانحراف في المجتمع الجزائري، إذ تشير الإحصائيات الرسمية إلى ارتفاع معدل الجريمة بكل أنواعها في السنوات الأخيرة، حيث

سجلت المؤسسات القضائية والأمنية ارتفاعا في قضايا الجريمة بنسبة 16,62% خلال النصف الأول لعام 2013. وكشفت الإحصائيات الصادرة عن الديوان الوطني لمكافحة المخدرات والإدمان إلى وجود 250 ألف مدمن في الجزائر، ووجود 25 ألف شاب جزائري في السجون بسبب استهلاك المخدرات أو المتاجرة بالمنتجات. وقدر رئيس الهيئة الوطنية لترقية الصحة وتطوير البحث Forem وجود مليون مستهلك للمخدرات و500000 منهم مدمنون بصفة دائمة

(<http://www.assaut.net>. consulté le 24/11/2016).

كما كشفت إحصائيات التسع أشهر الأولى من سنة 2014 التي قدمها ممثل الشرطة القضائية لقيادة الدرك الوطني أن 30% من المتورطين في الجرائم هم ممن تتراوح أعمارهم بين 18-30 سنة، و63% ممن تتراوح أعمارهم بين 30-40 سنة، فيما قدرت نسبة المتورطين الذين تجاوزت أعمارهم لـ 40 سنة بـ 13%. مما يبين أن الجريمة منتشرة أكثر بين الشباب.

(<http://www.echorkonline.com>. consulté le 30/11/2016).

إذا حاولنا كشف عوامل انحراف الشباب نجدها كثيرة ومتنوعة، من هذه العوامل وقت الفراغ، حيث يلاحظ أن بعض الانحرافات سببها وقت الفراغ، لأنه أقل خضوعا للمراقبة المباشرة من طرف الراشدين، خاصة وأن معظم الوقت يمر بصحبة الرفاق (Lutte, 1988, p.282).

يرى (محمد قطب) إن وقت الفراغ أمر شديد الخطورة إن لم يحسن استخدامه وشغله فيما لا يضر فهو فرصة لكل شيء من الأمور وخاصة إن وجدت الطاقة الفائضة (قطب، 1982، ص 160). فالفراغ مفسد للنفس وأول مفسد الفراغ هو تبيد الطاقة الحيوية لملء الفراغ ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء هذا الفراغ (قطب، 1993، ص 206).

حاولت كثير من الدراسات التي أجريت في مجال الانحراف، الكشف عن العلاقة بين المكان الذي يمضي فيه الفرد وقت فراغه، والصورة التي يمضي بها هذا الوقت، والصحبة التي يمضي معها وقته وبين انحرافه.

أجملت (ناهد صالح) (كما ورد في الشيباني، ص ص 331-332) أنهم نتائج الدراسات التي عالجت هذه العلاقة في الآتي:

- إن أغلبية الانحرافات يرتكبها الفرد أثناء وقت فراغه، وقد يرجع هذا إما إلى طبيعة الفعل الانحرافي نفسه حيث تستلزم ممارسته أن يكون الفرد في وقت فراغه لا عمله، مثل القمار، السطو، تعاطي المسكرات والمخدرات، وبعض الجرائم الجنسية. أو يرجع ذلك إلى طبيعة وقت الفراغ نفسه، حيث يتحرر الفرد من قيود العمل ورقابته على سلوكه ويجد فيه مجالاً لانطلاق أهوائه وإشباع رغباته.

- إن نسبة كبيرة من الانحرافات ترتكب بقصد الاستمتاع بوقت الفراغ أو الحصول على وسائل تهيئ الاستمتاع بهذا الوقت. هناك أنواع من الانحرافات يرتكبها الفرد كوسيلة لشغل وقت فراغه مثلاً ألعاب القمار، تعاطي المخدرات... الخ وهناك انحرافات أخرى يرتكبها بهدف الحصول على المال الذي يهيئ له الاستمتاع بوقت فراغه، كالسرقة، الرشوة... الخ.

- إن الصحبة السيئة ورفاق اللهو المنحرفين يدفعون الفرد إلى الانحراف. وإن المنحرفين عادة يمضون وقت فراغهم مع رفاق منحرفين.

قام (عبد الله ناصر السدجان) سنة (1993) بدراسة حول قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، من بين ما هدفت إليه الدراسة معرفة الفروق بين الأحداث المنحرفين والأحداث الأسوياء في كمية وقت الفراغ، ومكان قضاء وقت الفراغ، وتوصل الباحث إلى النتائج التالية:

- ترى 23% من مجموع عينة الأحداث المنحرفين بأن الفراغ هو السبب والدافع لارتكابهم الجنوح.

- يمتلك الأحداث المنحرفون وقت فراغ أكبر من الأحداث الأسوياء.

- توجد علاقة بين المكان الذي يقضي فيه الحدث وقت فراغه والانحراف حيث يقضي الأحداث المنحرفون وقت فراغهم في الأماكن العامة غير

المراقبة بينما يقضي الأحداث الأسوياء وقت فراغهم في المنزل أو في أماكن رياضية رسمية (السدجان، 1994، ص ص 135-167).

كذلك من عوامل انحراف الشباب غياب الترويح، حيث ترتفع معدلاته في الأحياء التي تفتقر إلى فرص الترويح السليم والمنظم، بينما تنخفض أين تتوفر النوادي والساحات وأماكن الترويح السوي (الشيباني، مرجع سابق، ص 332). وكما هو ظاهر للعيان لا تزال مدننا تفتقر إلى الحدائق والمنتزهات العامة، والمسارح، ودور السينما، والملاعب... الخ، خاصة المدن الجديدة.

لا توجد ثقافة الترويح في الجزائر (la culture du loisir) والتي تقوم على عاملين أساسيين: الوقت والفضاء، الجزائريون لديهم على العموم الوقت، لكنهم يفتقرون إلى الفضاءات الترويحية سواء الثقافية أو الرياضية أو الترفيهية. والمشكل هو اهتمام الدولة ببناء السكنات نظرا للطلب الكبير عليها على حساب إنشاء فضاءات للترويح. كما يوجد خلل بين المناطق الريفية والحضرية في المنشآت الترويحية، تكاد تنعدم في المدن الصغيرة وفي الأرياف، حتى في المدن الكبيرة لا توجد بالعدد الكافي، والموجود منها يعاني من الإهمال وعدم المتابعة، كما يوجد تفاوت في توفر هذه المنشآت في المدينة الواحدة حسب الأحياء، كثير من الشباب يضطر إلى التنقل بسبب عدم وجودها في حيه أو في المناطق المجاورة.

(<http://www.algerie-focus.com/2013/05/la-culture-du-loisir> consulté le 30/01/2017).

كما أن المجتمع الجزائري لا يملك الدافعية للتخطيط والبحث عن الفرص المناسبة للترويح، مازال محصورا في أنشطة ترفيهية كالتسوق أو تناول الوجبات في المطاعم، ومازال ينظر إلى الحدائق العامة والفضاءات الطبيعية كأماكن للرديلة. كما أن الشاب الجزائري وعلى سبيل المثال يفضل البقاء لعدة ساعات في المقهى يتسلى بالنظر إلى المارة بدلا من البحث عن الجمعيات المحتاجة لأعمال تطوعية.

(<http://www.algerie-focus.com/2013/05/ces-algeriens-qui-tuent-le-temps-au-lieu-de-l-apprecier> consulté le 30/01/2017)

يوجد عزوف للشباب عن العمل الجماعي والتطوعي وفشل الحركة الجمعوية في إقناع الشباب بالانخراط فيهما، ومن بين أسباب العزوف؛ السمعة السيئة للعمل الجمعوي وعدم تواجد الفضاءات الجمعوية بالقرب منهم (بوصنوبرة، مرجع سابق، ص 119).

قام مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (crasc) بالجزائر بدراسة ميدانية حول مدى اهتمام الشباب بالنشاطات الثقافية مثل المطالعة، التردد على قاعات المسرح وانخراطه في الجمعيات والنوادي الثقافية، تبين ضعف الإقبال وعدم الاهتمام بمثل هذه النشاطات، مما يؤكد لنا حجم الفراغ الذي يعيشه الشباب الجزائري والذي يجعله يعيش تائها وحائرا حيث لا يعرف ماذا يفعل؟ وإلى أين يذهب؟ (عبد السلام، 2014، ص 125).

وقد رصدت الدولة الجزائرية ميزانيات ضخمة لبناء الهياكل القاعدية الرياضية عبر أرجاء الوطن، تؤكد الإحصائيات أن الموارد المالية التي خصصتها الدولة لبناء المنشآت الرياضية انتقلت من 50 مليار دج بين سنتي 2000-2004 إلى قرابة 200 مليار دج بين سنتي 2005-2008 مما سمح بمضاعفة عددها من 1520 إلى 6000 منشأة سنة 2007. لكن هذه الهياكل لم تستطع تحقيق التأطير الكافي للشباب، بسبب غياب التسيير، ونقص الكفاءة والتنظيم ما ترتب عنه عدم استفادة الشباب منها (بوصنوبرة، 2010، ص 119).

بناء على ما سبق نستطيع القول أن وقت الفراغ يهيئ الظروف المناسبة للانحراف؛ كالصحبة السيئة، ضعف أو غياب المراقبة، التحرر من أي شكل من أشكال السلطة. كما أن غياب وسائل الترويح المختلفة المادية منها والبشرية؛ كانهدام فضاءات الترويح، غياب ثقافة الترويح لدى المجتمع الجزائري، عزوف الشباب عن الانضمام للجمعيات، ضعف تأطير الشباب... يدفع بالشباب إلى اللجوء إلى هدر وقت فراغهم أو « قتل الوقت » كما يطلق عليه بعض الشباب في ممارسات ضارة تؤدي بهم إلى الانحراف.

3- أهمية الترويح في حماية الشباب من الانحراف

أقر الميثاق الدولي للفراغ في 1/06/1970 المدرج في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، والذي نص على :

- لكل إنسان الحق في أن يكون له وقت فراغ.
- لكل إنسان الحق في الاستمتاع بوقت الفراغ.
- لكل إنسان الحق في استخدام المنشآت والمنتزهات وجميع الإمكانيات المتاحة للتمتع بوقت الفراغ.
- لكل إنسان الحق في أن تهيأ له سبل ممارسة الأنشطة التي يرغبها في وقت فراغه.
- إلزام الهيئات المسؤولة بتوفير الإمكانيات اللازمة لممارسة الأنشطة التي يرغبها الإنسان في وقت فراغه.
- للأفراد الحق في تعلم المهارات الترويحية من خلال المنزل والمدرسة (السدجان، مرجع سابق، ص ص 106-107).

وقت الفراغ نعمة عظيمة تستحق التقدير، فهو فرصة مناسبة لتجديد النشاط والترويح عن النفس. تعتمد سياسة وقت الفراغ في المجتمعات المتقدمة على مبدأ تحويل وقت الفراغ إلى وقت ممارسة أنشطة ترويحية (عمران، مرجع سابق، ص ص 56-57). والاستفادة على الوجه الصحيح بالأنشطة المفيدة والممتعة أسلوب أمثل للوقاية من الانحراف، حيث يقوم الترويح بتصريف الطاقة الزائدة، يخفف التوتر والقلق، يسمح بالتعبير عن الذات، ينمي المهارات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، و يساعد على الاندماج الاجتماعي... الخ.

حدد (Joffre Dumazedier) وظائف للترويح في ثلاث وظائف هي:

- الاستراحة: التخلص من الإعياء الناتج عن ضغوط الحياة اليومية خاصة ضغط العمل.

- التسلية: التخلص من الملل والضجر الناتج عن الروتين خاصة في مجال العمل.

- تطوير الشخصية: التخلص من الروتين في الفكر والعمل اليومي و ذلك عن طريق تنمية المعرفة والإبداع والمشاركة الاجتماعية (cité par Pronovost, 1983, p.149).

هناك العديد من الآثار الإيجابية للترويح بصورة عامة- ولو أن لكل نوع من الترويح فوائد محددة تختلف عن فوائد الأنواع الأخرى- كما أن فوائد الترويح متنوعة ولها جوانب عدة، سوف نقتصر على الفوائد النفسية والاجتماعية لعلاقتها بموضوع المقال.

تأثير الترويح على الجانب النفسي:

- إشباع الميول والدوافع المرتبطة باللعب والهويات.

- إعادة التوازن النفسي.

- زيادة القدرة على الإنجاز وإثبات الذات.

- تنمية الثقة بالنفس والتحرر من الخوف.

- التعبير عن الذات.

- التخلص من الميول العدوانية (غندير، 2012، ص 286).

تأثير الترويح على الجانب الاجتماعي:

- تطوير العلاقات الإنسانية كالصداقة والتعاون.

- تنمية التفاعل الاجتماعي والمناقشات والحوار.

- تنمية العيش معا بشكل إيجابي.

- اكتساب روح الفريق.

- اكتساب القدرة على التكيف الاجتماعي والاندماج.

- تنمية الغيرية والإيثار (L'altruisme) (المرجع نفسه، ص 287).

من خلال الأدبيات العامة التي تناولته الترويح، يظهر الترويح كمصدر للصحة الجسمية والنفسية، يقدم فوائد عديدة للفرد، يساعد على النمو المتوازن، وعلى اكتساب سلوكيات سليمة، وعلى اندماج الشباب في إطار منظم ومهيكل (Pronovost, 2005, p.154). ويعوض الاحباطات سواء في الحياة الأسرية، أو في المدرسة، أو في العمل (Lutte, op.cit., p.282).

بناء على فوائد الترويح المتعددة، فهل يسهم الترويح في حماية الشباب من الانحراف؟ يعتقد الكثير من الناس أن الرياضات العنيفة والتنافسية تقدر أن تحول العنف السلبي إلى عنف إيجابي، وحسب نظرية التحليل النفسي نستطيع التقليل من الميول العدوانية من خلال عملية التنفيس (catharsis) عنها بطريقة مقبولة اجتماعيا كممارسة الرياضة والألعاب، وكذلك من خلال توفير العنف البديل أو العنف المتخيل كمشاهدة الدراما والرياضات العنيفة. وهناك من يخالف هذا الرأي ويعتقد أن لوسائل الإعلام خاصة التلفزيون دورا كبيرا في انتشار الانحراف لا سيما العنف، وتدعم هذا الرأي نظرية التعلم الاجتماعي وعلى رأسها (Albert Bandura) وحسبها أن وسائل الإعلام تقدم نماذج عدوانية للفرد أكثر مما تقدمه بيئته الاجتماعية المباشرة (Leyens, 1979, p.144). ويعتبر التلفزيون من الأنشطة الترويحية السلبية المنتشرة بين الشباب خاصة البطالين والمنتيمين لأوساط اجتماعية محرومة (Meraihi, op.cit., p.118). وقد يؤدي الاستهلاك الزائد والمكثف للتلفزيون، أو السينما، أو ألعاب الفيديو إلى نتائج سلبية، كما قد يرتبط بالسلوكيات المنحرفة (Pronovost, 2005, p.155).

يلاحظ أن الأنشطة السلبية (les activités passives) كالتلفزيون، وألعاب الفيديو، هي السائدة عند الشباب. وكما جاء في دراسة (عفاف عبد الفتاح) (2013) أن الوسائل الترفيهية المتوفرة في منازل الأحداث المنحرفين هي الأنشطة السلبية مثل الفيديو، الأقراص المضغوطة، أما الأحداث الأسوياء

فمنازلهم تتوفر على الأنشطة الفعالة مثل المكتبة، الكمبيوتر، كما توجد علاقة سالبة بين أنشطة كالموسيقى، الألعاب والهوايات الرياضية التنافسية وغير التنافسية وبين الانحراف (عبد الفتاح، 2013، ص ص 32-38).

في دراسة قام بها مركز البحوث التربوية والنفسية بكلية التربية جامعة الملك سعود بالاشتراك مع الرئاسة العامة لرعاية الشباب، عن كيفية تصرف الشباب السعودي في وقت الفراغ ونوع الأنشطة التي يمارسونها، أسفرت النتائج عن أن النشاط الغالب هو كرة القدم ومشاهدة التلفزيون، وأن معظم الشباب غير مشتركين في أنشطة رياضية، وتوجد بعض الصعوبات كقلة الملاعب وعدم وجود منشآت ترفيهية قريبة منهم (موسى، 2008، ص ص 4-5).

حسب تقرير الذي قدم في إطار برنامج (Euro-Med Jeunesse III) تتمثل أنشطة الترويح لدى الشباب الجزائري في:

- الرياضة: حضور مباريات كرة القدم في الملاعب.
- التلفزيون.
- الاستماع للموسيقى: كالراي، الشعبي، الراب الجزائري.
- الانترنت: الرسائل الفورية، إنشاء المدونات.
- ألعاب الفيديو.
- القراءة: متمثلة أساسا في قراءة الجرائد (<https://www.salto-youth.net>) (consulté le 04/02/2017).

توجد فروق بين الشباب في نوعية الأنشطة الترويحية تتمثل في الآتي:

- الفروق بين الذكور والإناث: الفراغ عند الإناث أقل من عند الذكور، نظرا لانشغالهن بالأعمال المنزلية، مما قد يفسر اهتمامهن بالترويح المنزلي كالقراءة، الاستماع إلى الموسيقى، الدراسة، فوقت فراغهن غالبا ما يتجه نحو تحقيق دورهن التقليدي. أما الذكور فلهيهم ترويحاً متنوعاً، هم أكثر

نشاطا وفاعلية، يمارسون غالبا الرياضة، تعتبر هذه الأخيرة طقسا (un rite) ذكوريا، يسمح لهم بالتماهي مع الدور التقليدي الذكوري (Lutte, op.cit., p.286). كرة القدم رياضة تتقاسمها كل فئات الشباب الذكور سواء كانوا من أسر ميسورة الحال أو فقيرة، أو كانوا من سكان المدينة أو الريف (Meraihi, op.cit., p.90). توصل الأستاذ والباحث (عبد القادر لقجع) من خلال دراسته الميدانية سنة (2006)، التي أجراها على 496 شاب وشابة من مدينة وهران إلى أن: الأنشطة الترويحية السائدة عند الذكور حسب إجابتهم تتمثل في الرياضة (38,5٪)، الموسيقى (19٪)، التلفزيون (10,5٪)، والقراءة (3,5٪). بينما يختلف معنى الترويح عند الإناث، حيث تتمثل أنشطة الترويح في الانشغالات اليدوية (21,5٪)، الفكرية (19٪)، الرياضية (12,5٪)، والفنية (12٪)، كما تصرح الإناث إنهن تقضين وقت فراغهن مرتين أكثر مع أفراد العائلة (58٪) مما تقضينه مع الأصدقاء (28,5٪) (Lakjaa, 2007).

- الفروق حسب الطبقة الاجتماعية: يعكس شغل وقت الفراغ التفاوت الاجتماعي بين الشباب، شباب الطبقة الاجتماعية المرموقة يعيشون في وسط ثقافي غني، لديهم إمكانيات مادية، مما يسمح لهم بالحصول على ترويح ثقافي فعال وممتع. أما شباب الطبقة الشعبية، يستهلكون وبصفة سلبية وسائل الترفيه كالموسيقى، التلفزيون، ألعاب الفيديو، العروض الرياضية. فالفراغ بالنسبة لهم عبارة عن تسلية صرفة لا تساعدهم على تطوير تفكيرهم وقدراتهم (Lutte, op.cit., p.287).

- الفروق بين الشباب العاملين والشباب البطالين: إن الشباب العاملين من الطبقة الشعبية، والذين تركوا المدرسة مبكرا، يجدون صعوبة في ممارسة أنشطة ثقافية وتكوينية، يستخدمون وقت فراغهم للراحة والتسلية. أما الشباب البطالون- خاصة في حالة البطالة المفروضة - لديهم وقت فراغ أكثر من غيرهم، لكنهم لا يعرفون ماذا يفعلون به. فوقت فراغهم عبارة عن وقت فارغ (un temps vide)، ووقت ضائع (un temps perdu)، يحاولون ملئه في أحسن الأحوال بالتسلية وتمضية الوقت (des passe-temps) (Ibid., p.287).

إنَّ أغلب الأنشطة الترويحية التي يمارسها الشباب في وقت فراغهم هي أنشطة سلبية، حيث يكون فيها نشاط الشباب ضعيفا أو معدوما، كما أنَّ الشباب شريحة عمرية غير متجانسة، وعليه يوجد اختلاف في أنشطة الترويح بين الشباب وفق لمتغير الجنس والبطالة والطبقة الاجتماعية. الاستفادة من الترويح في حماية الشباب من الانحراف يتوقف على نوعية الترويح، فهناك ترويح جيد وترويح سيء. رغم أنَّ الترويح يسهم في حماية الشباب من الانحراف، إلا أنَّ الترويح السيئ قد ينتج عنه نتيجة عكسية، لهذا ينبغي تقديم البديل للشباب وتوعيدهم على أنشطة ترويحية نشطة وجيدة. ويتطلب الترويح الجيد شروط هي:

- التربية الترويحية (l'éducation au loisir): أولاً من خلال تعلم فن استخدام الترويح بدارية، وهذا يتطلب توفير المنشآت والمرافق اللازمة للترويح من ملاعب، ومساحات للعب والرياضة، ومكتبات... الخ. وتشجيع مختلف الأنشطة للصغار والكبار على حد سواء، وثانياً من خلال النظام المدرسي، بواسطة الطرائق البيداغوجية التي تستخدم اللعب والأنشطة الترويحية بهدف التعلم والنمو، على سبيل المثال التربية البدنية والرياضة، الاستخدام البيداغوجي للطبيعة، أنشطة موسيقية أو مسرحية... الخ. وبالنسبة للراشدين فمن خلال تربية الراشدين، عن طريق العمل التطوعي، والمؤسسات الخيرية، والمخيمات الصيفية. (95-Pronovost, 1983, pp.93)
- القيادة الترويحية (leadership en récréation): توفير قادة مدربين على التنشيط والتسيير والإدارة. (ibid).

خاتمة

يعدُّ وقت الفراغ مشكلة خطيرة يعيشها الشباب حالياً، خاصة وأنَّ الغالبية منهم يعاني من البطالة ومن فراغ ممل. وفي ظل عدم توفر الفرص والإمكانيات اللازمة لشغل وقت الفراغ واستخدامه في أنشطة بناءة ونافعة يلجأ الشباب إلى إضاعته وهدره في ممارسات ضارة تهيئ الظروف المناسبة للانحراف. بينت دراسات سبق الإشارة إليها أنَّ نسبة كبيرة من

الانحرافات يرتكبها الشباب أثناء وقت فراغهم، كما توجد علاقة طردية بين كمية وقت الفراغ وممارسة السلوكيات المنحرفة. نظرا لخطورة وقت الفراغ وأهميته، نجد الدول المتقدمة تسعى إلى تحويله إلى وقت للترويح يستثمره الإنسان في تطوير قدراته الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، من خلال ممارسة أنشطة ترويحية بناءة وصحية، وبهذا المفهوم يصبح الترويح وسيلة وقائية يحمي الشباب من الانحراف.

ينبغي على القائمين على رعاية الشباب أن يكونوا على دراية بضرورة إنشاء المرافق والفضاءات اللازمة للترويح، وتوفير أنشطة ترويحية جوارية والتنوع فيها بما يوافق الفروق الفردية بين الشباب في القدرات والميول والحاجات، وأيضا بما يتماشى وأوضاعهم المادية والاجتماعية.

كما أن المشكلة ليست في توفير الهياكل والمؤسسات، بقدر ما هي في توظيفها بالقدر الذي يحقق الأهداف التي أسست من أجلها، ولكي يتم ذلك لابد من الاهتمام بالتأطير والتسيير والمراقبة.

نقدم فيما يلي بعض التوصيات حول أهمية وقت الفراغ وكيفية الاستفادة من الترويح:

- تنمية الوعي بقيمة الوقت.
- توعية الشباب بأهمية وقت الفراغ واستخدامه فيما ينفع.
- التمييز بين ملء الفراغ وهدر الوقت، فوقت الفراغ ليس وقتا ضائعا.
- توعية الشباب بأن وقت الفراغ لا يعني الراحة، لأن عدم الاهتمام بناحية من نواحي النشاط في وقت الفراغ، قد تؤدي لكسل عقلي وبدني.
- توفير فرص عمل حقيقية للشباب حتى يستمتعوا بوقت الفراغ.
- توفير المرافق وخدمات الترويح مع مراعاة ذلك عند تخطيط المدن الجديدة.
- تشجيع الشباب على المشاركة في الأنشطة المختلفة وليس الاكتفاء بالمشاهدة.

- تدريب الشباب على بعض المهارات حتى يكون لديهم فرصة المشاركة والممارسة.
- الاهتمام بالتنشيط كالمهرجانات، لقاءات وطنية للشباب، صالونات، بهدف توفير فضاءات للتبادل والتعبير عن المواهب.
- إعادة ترميم السياحة الشبابية كتوفير معسكرات للشباب، مخيمات صيفية، بيوت للشباب.
- التخطيط الهادف لشغل وقت فراغ الشباب، فالنشاط الترويحي ليس الهدف منه مجرد شغل الفراغ والتسلية، بل ينبغي أن يكون له أهداف تربوية، وتكوينية، وثقافية، واجتماعية.
- توفير الإمكانيات اللازمة لمؤسسات الشباب من الهيكل الملائم، التجهيز الضروري، والإطار المؤهل.
- توفير الإطارات في مجال الترويح.

قائمة المراجع

أ - باللغة العربية:

- بدرة معتصم ميموني (2003): الاضطرابات النفسية والعقلية عند الطفل والمراهق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- خالد عبد السلام (2014): «عوامل الانحراف الاجتماعي لدى الشباب الجزائري واستراتيجيات التكفل والعلاج»، مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، عدد 13.
- رضا فرج (1976): شرح قانون العقوبات الجزائري (القسم العام)، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- عامر مصباح(2003): التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، الطبعة الأولى، دار الأمة، الجزائر.
- عبد الله بن ناصر السدجان(1994): قضاء وقت الفراغ وعلاقته بانحراف الأحداث، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، السعودية.
- عبد الله بو صنوبرة(2010): «الحركة الجمعوية في الجزائر ودورها في ترقية طرق الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الشباب»، دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- عفاف عبد الفتاح علي أبو القاسم (2013): «توظيف أوقات الفراغ والترويح عند الشباب في ضوء الأنشطة الممارسة»، رسالة دكتوراه، كلية التربية، قسم علم الاجتماع التربوي، جامعة الجنان، طرابلس، لبنان.
- علال عمراني جوطي (2011): التلميذ المنحرف، ودور المؤسسات التعليمية في ضبطه وتقويمه، ط2، مطبعة أنفو-برانت، فاس، المغرب.
- عمر محمد التومي الشيباني (1987): الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب، ط 3، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
- كامل عمران(2000): «وقت الفراغ من منظور طلبة جامعة دمشق»، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، عدد 14، ص ص55-75.
- محمد عاطف غيث (1979): قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- محمد قطب (1982): منهج التربية الإسلامية، الجزء الثاني، (في التطبيق)، ط 3، دار الشروق، القاهرة .
- محمد قطب (1993): منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول، (في النظرية)، ط14، دار الشروق، القاهرة.

- مكي دردوس (2002): «الإدمان على الخمر والمخدرات»، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة متوربي، قسنطينة، الجزائر، عدد 18، ص 147-155.
- نور الدين غندير (2012): «النشاط الرياضي الترويحي»، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد 9، الجزء الأول.
- هاني محمد يونس موسى (2008): «دراسة تقويمية للأنشطة الطلابية بكلية المعلمين جامعة الملك سعود في ضوء آراء طلابها»، مؤتمر مناهج التعليم والهوية الثقافية، الجمعية المصرية للمناهج، مجلد 4، القاهرة.
- ب - باللغة الأجنبية:

- Lakjaa A. : « La jeunesse algérienne entre valeurs communautaires et aspirations sociétares », colloque international pluridisciplinaire : « Ville et marginalité chez les jeunes », organisé conjointement par l'université Mentouri de Constantine, l'université du 20 Août 1955 de Skikda et l'université Paris X Nanterre, le 21 et 22 Mai 2007.
- Leyens J-P. (1979) : Psychologie Sociale, Bruxelles, Pierre Mardaga.
- Lutte G. (1988) : Libérer L'adolescence - introduction à la psychologie des adolescents et des jeunes, Bruxelles, Pierre Mardaga.
- Meraihi H. (2010) : «Rôle des établissements de jeunesse dans la socialisation en Algérie: bilan et perspectives», thèse de doctorat en science de l'éducation, université Mentouri Constantine, faculté des sciences humaines et des sciences sociales, département de psychologie et des sciences de l'éducation.
- Pronovost G. (1983) : Temps, Culture et Société ; Essai sur le processus de formation du loisir et des sciences du loisir dans les sociétés occidentales, Québec, Presses de l'université.
- Pronovost G. (2005) : Temps Sociaux et Pratiques Culturelles, Québec, Presses de L'université. Documents Internet
- <http://www.unesco.org/new/ar/social-and-human-sciences>. Consulté le 30/12/2016.
- <http://www.assaut.net/2016/10/%D8%AE%D9%8A%>. Consulté le 24/11/2016.
- <http://www.echorkonline.com/ara/articles/218990.htm>. consulté le 30/11/2016.
- «La culture du loisir n'existe pas encore en Algérie, mais elle émerge doucement» <http://www.algerie-focus.com/2013/05/la-culture-du-loisir>, consulté le 30/01/2017.
- Ces algériens qui « tuent le temps au lieu de l'apprécier »

<http://www.algerie-focus.com/2013/05/ces-algeriens-qui-tuent-le-temps-au-lieu-de-l'-apprécier>, consulté le 30/01/2017.

- Office National des Statistiques, Algérie (2005, septembre) Activité, Emploi et Chômage, n=726, www.ons.dz, consulté le 16/12/2016.
- Rarbo K. « Etudes sur les politiques jeunesse des pays partenaires méditerranéens, Algérie » [http://www.salto-youth.net/downloads/4-17-1874/01-EuroMed_Jeunesse-Etude_Algerie_\(fr\)090708.pdf](http://www.salto-youth.net/downloads/4-17-1874/01-EuroMed_Jeunesse-Etude_Algerie_(fr)090708.pdf), consulté le 04/02/2017.

العلاقات السببية و علاقة التكامل المشترك بين الاستثمار الأجنبي والصادرات

« حالة الجزائر 1990 - 2013 »

أ. سارة دريدي

الملخص:

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2
sarra azeddine.dridi@univ-constantine2.dz

قامت الجزائر في إطار سياسة الانفتاح الاقتصادي بتحسين مناخ الاستثمار الأجنبي بغية الاندماج في الاقتصاد العالمي؛ ولقياس مدى فعالية هذه السياسة، قمنا بدراسة قياسية باستعمال طريقة التكامل المشترك و طريقة «جرانجر» لبيانات الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر خلال الفترة 1990-2013 و قد أثبتت هذه الدراسة مساهمة الاستثمار الأجنبي المباشر في زيادة الصادرات، لكن الدراسة التحليلية بينت أن هذه المساهمة لم ترق لتتبع الصادرات خارج المحروقات، مبرهنة بذلك صحة بعض الأدبيات التي تشير إلى أن تدفق الاستثمار الأجنبي مرهون بخصائص صادرات البلد المضيف.

الكلمات الدالة: الاستثمار الأجنبي، الصادرات، الانفتاح الاقتصادي، التجارة الخارجية.

Abstract :

تمهيد

تشهد الجزائر زيادة ملحوظة في حجم المبادلات الدولية وتدفقات رؤوس الأموال الأجنبية مقارنة بسنوات التسعينات، وهو ما يفسر بزيادة توسع ظاهرة العولمة الاقتصادية التي أدت بالعديد من الاقتصاديين المعاصرين والمختصين في الإحصاء إلى وضع نماذج إحصائية تدرس العلاقات بين المتغيرات الاقتصادية الناتجة عن ظاهرة

In the framework of economic openness policy Algeria rely on the attraction of foreign investment in order to achieve the substitution of Imports, and to measure the effectiveness of this policy, we have used a statistic study applying co-integration and the Granger methods on foreign direct investment and exports data in Algeria during the period 1990-2013 and we have concluded that the foreign direct investment in Algeria contribute in increasing exports, but the analytical study showed that this contribution did not live up to diversify exports beyond hydrocarbons, this fact demonstrate the validity of some theories' that indicates that the flow of foreign investment depends on the characteristics of the country's exports.
Key words: foreign investment, exports, economic openness, foreign trade

العولمة، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المقال، لنوضح فيما إذا كانت هناك علاقة بين حصيلة الصادرات وتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر خلال فترة 1990-2013 و هي فترة الانفتاح الاقتصادي.

أهمية البحث

تتجلى أهمية الدراسة في تقييم سياسة الانفتاح الاقتصادي المنتهجة منذ التسعينات، من خلال قياس أثر الاستثمار الأجنبي على ترقية الصادرات الجزائرية و تحسين هيكل التجارة الخارجية، ليكون هذا التقييم أساسا لبناء سياسات اقتصادية مستقبلا.

مشكلة البحث

اختلفت الأدبيات حول طبيعة العلاقة بين الاستثمار الأجنبي و الصادرات، حيث تطرق البعض منها للدور الإيجابي للاستثمار الأجنبي المباشر في عملية التصنيع والنقل أو التحويل التكنولوجي و التصدير، أما البعض الآخر فقد أشار إلى أن تدفق الاستثمار الأجنبي مرهون بخصائص صادرات البلد المضيف، إذ أنه يتجه إلى القطاع الإنتاجي الذي يكون العائد الحدي فيه أعلى مقارنة بسائر القطاعات الإنتاجية الأخرى، و انطلاقا من هذا التنوع في الآراء تم طرح السؤال التالي:

ما هي طبيعة العلاقة بين الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر خلال فترة الانفتاح الاقتصادي 1990-2013؟

فرضيات البحث

تقوم هذه الدراسة على فرضيتين مبنيتين على أساس النظريات و النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة في الموضوع محل الدراسة:

الفرضية الأولى:

الاستثمار الأجنبي المباشر يؤثر إيجابا على الصادرات الجزائرية.

الفرضية الثانية:

طبيعة الصادرات الجزائرية غير محفزة لجلب الاستثمار الأجنبي المباشر.

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مدى جدوى الاستثمار الأجنبي كمؤشر للانفتاح الاقتصادي في ترقية الصادرات الجزائرية من جهة ، و من جهة أخرى التأكد في ما إذا كان لهذه الأخيرة أي الصادرات دور في كبح تدفق الاستثمار الأجنبي من خلال دراسة قياسية للعلاقة بين الاستثمار الأجنبي و الصادرات في الجزائر للفترة الزمنية 1990 إلى 2013 ، و هذا باستعمال طريقة التكامل المشترك «Co-intégration» لاختبار وجود علاقات في المدى الطويل، و طريقة جرانجر لاختبار اتجاه العلاقة السببية بين تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر.

لهذا ارتأينا أن نقسم البحث على الشكل التالي:

- الإطار النظري المفسر للعلاقة المتبادلة بين الاستثمار الأجنبي والتجارة الخارجية.
- تحليل تطور تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الجزائر للفترة 1990-2013.
- التعريف بالمنهج القياسي المستعمل لدراسة العلاقة بين المتغيرين.
- تطبيق المنهج على إحصائيات تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر للفترة 1990-2013.
- خلاصة
- خاتمة

منهجية البحث

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لبلورة الإطار النظري للدراسة، من أجل وصف الظواهر محل الدراسة و تحليل بيانات تدفق الاستثمار الأجنبي في الجزائر خلال الفترة 1990-2013 ، و اختبار العلاقة السببية بين الاستثمار الأجنبي المباشر FDI كمؤشر من مؤشرات الاندماج في الاقتصاد العالمي و الصادرات E كجزء من التجارة الخارجية اعتمادا على طريقة السلاسل الزمنية المتعددة التي تفسر قيم المتغير الحالي بالقيم السابقة له وبالقيم السابقة لمتغير آخر، و سوف يستند التحليل القياسي في هذه الدراسة إلى ما يسمى اختبارات السببية Causality Granger ضمن إطار نموذج متجه الانحدار الذاتي Var حيث تختبر الخطوة الأولى سكون السلاسل الزمنية المستخدمة في الدراسة عن طريق اختبار جذر الوحدة بواسطة اختبار «ديكي فولر الموحد» (Augmented Dickey fuller) و اختبار (Perron et Philips) ، وفي الخطوة الثانية يتم إجراء اختبارات السببية Granger causality من خلال نموذج متجه الانحدار الذاتي، و أخيرا يتم إجراء اختبار التكامل المشترك لمعرفة إمكانية وجود علاقة طويلة الأجل بين متغيرات الدراسة.

الدراسات السابقة

يعد البحث في العلاقة التي تربط بين مختلف الظواهر الاقتصادية في ظل الانفتاح الاقتصادي من أكثر المجالات الاقتصادية دراسة في الفترة الأخيرة، حيث يتم تحليل هذه العلاقة في ظل خصائص هذا الانفتاح و ظروف البلد محل الدراسة، و حتى تتمكن من إثراء هذا التحليل حاولنا تحديد طبيعة العلاقة المتبادلة بين الصادرات و الاستثمار الأجنبي في الجزائر خلال فترة الانفتاح الاقتصادي، و استخلاص مدى فعالية هذه السياسة لتحسين هيكل التجارة الخارجية الجزائرية، و من أجل ذلك قمنا بالاطلاع على دراسات سابقة حول الموضوع، و التي من بينها:

دراسة قياسية ل OECD عام 1999 حول العلاقة بين الاستثمار الأجنبي و

التجارة الخارجية، أوضح Lionel Fontagné تعقد العلاقة بين المتغيرين، إذ أن الاستثمار في الخارج يحفز التوسع في الصادرات للدولة الأم و بالتالي فهو مكمل للتجارة الخارجية.

و في دراسة قياسية لرفيق نزاري 2007 : الاستثمار الأجنبي المباشر والنمو الاقتصادي- دراسة حالة تونس الجزائر المغرب- مذكرة ماجستير، تخصص اقتصاد دولي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2007-2008. اعتمادا على طريقة المربعات الصغرى توصل إلى أن للاستثمار الأجنبي في الجزائر خلال الفترة 1991-1996 تأثير موجب على تحسن الصادرات باعتباره يساهم في صادرات المحروقات.

و في دراسة لـ Gulçin Tapsin, the relation between foreign direct investment, exports and economic growth in Turkey, journal of business management and economics 4 :5 may 2016

توصلت هذه الدراسة إلى أن الاستثمار الأجنبي في الدول النامية يؤدي إلى زيادة الصادرات من خلال زيادة العمالة و الإنتاجية و النمو التكنولوجي.

أما ما تتميز به دراستنا عن الدراسات السابقة فهو تحليل واقع الاستثمار الأجنبي في الجزائر خلال الفترة 1990-2013 و تحديد مساهمته في ترقية الصادرات الجزائرية و تنوعها، اعتمادا على طريقة التكامل المشترك و طريقة جرانجر.

المحور الأول: الإطار النظري المفسر للعلاقة المتبادلة بين الاستثمار الأجنبي كمؤشر للاندماج في الاقتصاد العالمي و التجارة الخارجية

أولا: مفهوم الاستثمار الأجنبي المباشر و أنواعه

يصف ال FMI الاستثمار الأجنبي بالمباشر حين يتملك المستثمر 10% أو أكثر من أسهم رأس مال إحدى مؤسسات الأعمال، على أن ترتبط هذه الملكية بالقدرة على التأثير في إدارة المؤسسة، وبذلك يختلف عن الاستثمار في المحافظ و الصناديق الاستثمارية التي تقوم بشراء أصول الشركات بهدف تحقيق عائد مالي دون التحكم في إدارتها، مع ضرورة التنبه إلى صعوبة

التفريق بشكل دقيق بين النوعين. (لوعيل، 2008، 134) ، و الاستثمار الأجنبي المباشر يكون عن طريق التملك الجزئي أو المطلق للمشروع الاستثماري من طرف الشركة الأجنبية، ويمكن أن يأخذ الأشكال التالية: (عبد الكريم بن عراب، كورتل فريد، أشكال و محددات الاستثمار الأجنبي المباشر مع الإشارة لواقعه بالدول العربية و بعض البلدان النامية، 4-7).

الاستثمار المشترك:

الاستثمار المشترك كما عرفه كولدي kolde «هو الذي يشارك فيه طرفان (أو شخصيتان معنويتان) أو أكثر من دولتين مختلفتين بصفة دائمة، والمشاركة هنا لا تقتصر على الحصة في رأس المال بل تمتد أيضا إلى الإدارة، والخبرة وبراءات الاختراع والعلامات التجارية... الخ» .

فالاستثمار المشترك يتميز بالخصائص التالية :

- أنه عبارة عن اتفاق طويل الأجل لممارسة نشاط إنتاجي داخل البلد المضيف، هذا الاتفاق يكون بين طرفين استثماريين أحدهما وطني والآخر أجنبي .
- إن الطرف الوطني قد يكون شخصية معنوية تابعة للقطاع العام أو الخاص.
- قيام أحد المستثمرين الأجانب بشراء حصة من شركة وطنية قائمة يؤدي إلى تحويل هذه الشركة إلى شركة استثمار مشترك .
- طرفا الاستثمار (سواء الطرف الوطني أو الأجنبي) تكون مشاركتها في مشروع الاستثمار من خلال:
- المشاركة بحصة في رأس المال أو كله على أن يقدم الطرف الآخر التكنولوجيا.
- المشاركة من خلال تقديم الخبرة والمعرفة أو العمل أو التكنولوجيا.
- تقديم المعلومات أو المعرفة التسويقية، أو تقديم السوق.

- حق كل طرف من أطراف الاستثمار في المشاركة في إدارة المشروع المشترك. وهذا يعتبر أهم فارق يميز الاستثمار المشترك عن بقية العقود الأخرى كعقود الإدارة واتفاقيات الصنع أو مشروعات تسليم المفتاح .

- الاستثمارات المملوكة بالكامل من طرف المستثمر الأجنبي:

يتمثل هذا النوع من الاستثمارات في قيام الشركات متعددة الجنسيات بإنشاء فروع للإنتاج أو التسويق بالدولة المضيفة. وهو من أكثر أنواع الاستثمارات الأجنبية تفضيلاً من طرف الشركات الأجنبية وذلك نظراً للمزايا التي تحصل عليها من هذا النوع من الاستثمارات.

- مشروعات أو عمليات التجميع :

هذه المشروعات تأخذ شكل اتفاقية بين الطرف الأجنبي والطرف الوطني سواء كان عام أو خاص، يتم بموجبها قيام الطرف الأول بتزويد الطرف الثاني بمكونات منتج معين لتجميعها لتصبح منتجا نهائياً. مشروعات التجميع هذه قد تأخذ شكل الاستثمار المشترك أو التملك الكامل لمشروع الاستثمار للطرف الأجنبي .

من خلال ما سبق نستخلص أن هناك أشكال متنوعة للاستثمار الأجنبي المباشر، لا بد من التوجيه الجيد لها وتنظيمها لتحقيق الأهداف المرجوة منها.

ثانياً: مفهوم التجارة الخارجية

تعرف التجارة الخارجية على أنها مجموع الصادرات والواردات المنظورة و غير المنظورة أي السلعية و الخدمية، و يتحقق ذلك من خلال ما يلي: (دياب، 2010، 12)

- الخدمات المصرفية.

- خدمات النقل البحري التي تقدمها شركات الملاحة البحرية.

- خدمات النقل الجوي التي تقدمها شركات الطيران المدني.
- خدمات التأمين البحري التي تقدمها شركات التأمين.
- خدمات السفر، لاسيما الخدمات السياحية العالمية.
- خدمات نقل الملكية الفكرية و تجارة براءات الاختراع، و الخدمات المرتبطة بنقل التكنولوجيا.

وعلى ذلك يمكن القول أن التجارة الخارجية تقوم على أساس الاعتماد المتبادل بين الأطراف التي يتم بينها التبادل، (إيمان عطية، 2009، 8) إذن فالتجارة الخارجية وجه من أوجه الاستثمار الأجنبي بالنسبة للدولة المستثمرة في الخارج، و هي في نفس الوقت مرآة عاكسة لمدى فعالية هذا الاستثمار بالنسبة للدولة المستقبلية له، و قد ناقشت أدبيات التنمية الاقتصادية العلاقة السببية بين الاستثمار الأجنبي المباشر و التجارة الخارجية، و قد تم تصنيفها إلى مجموعتين كبيرتين:

تقر الأولى بأن:

الاستثمار الأجنبي المباشر المتدفق إلى الدول النامية يؤثر في صادراتها، حيث يسهم بدور كبير في رفع كفاءة قطاع التصدير، إذ يقوم بنقل و توطین بعض الصناعات في هذه البلدان، (أحمد عمر، 2008، 131)، إلا أن هذا التوطين تبقى نتائجه نسبية حسب شكل الاستثمار و مجاله، و قدرته على النقل المناسب للتكنولوجيا و أساليب الإدارة، فالاستثمار الفعال يسمح بنقل التكنولوجيا الحديثة في المجال التصديري إلى الشركات المحلية بالشكل الذي يساعد على تحسين و تغيير الخصائص التكنولوجية للمنتجات المحلية و عناصر الإنتاج، كما تستفيد الشركات المحلية من حلقات الاتصال التي تمتلكها الشركات العابرة للقارات في الأسواق الخارجية، وهذا في إطار المشروعات المشتركة، لأن الشركات المحلية لا تستطيع تحمل التكاليف الكبيرة الخاصة بالتوزيع و تقديم خدمات ما بعده، وبالتالي فهي تستفيد من تلك المزايا في ظل تواجد الاستثمار الأجنبي المباشر داخل أراضيها

(نزار، 2007-2008، 95)، كما يمكنه تغيير تخصص اقتصادياتها على المستوى الدولي ومن ثم زيادة صادراتها، وذلك لأن جلب الاستثمار الأجنبي يتطلب تطوير الاقتصاد من خلال إدخال مجالات جديدة و إعادة إحياء التقليدية منها، و بجلبه يكون مصدرا لإعادة هيكلة و عصرنة الإنتاج، مما يؤدي إلى زيادة كميات الإنتاج المصنوع (156، 2009، ELENA).

والجدير بالذكر، أن المشكلة الرئيسية التي تعاني منها البلدان النامية عند تعاملها مع الاستثمار الأجنبي تكمن في كيفية الاستفادة من النواحي الإيجابية لنشاطه دون الوقوع في شرك التبعية بكل أنواعها لهذا النوع من الاستثمار. (أحمد عمر، 2008، 132)، و لا يكون ذلك إلا من خلال تطوير القدرة الداخلية على جلب الاستثمار الأجنبي ذو الجودة العالية، الذي بإمكانه تطوير تنافسية الاقتصاد المحلي لترقية النمو تماشيا مع متطلبات و أهداف هذه الدول (156، 2009، ELENA).

أما تأثير الاستثمار الأجنبي على الواردات الخاصة بالدول المضيفة، فيكون إيجابيا على المنتجات النهائية، فقد تتوقف الدول المضيفة عن استيرادها أو تخفض وارداتها من تلك المنتجات، أما الواردات من السلع الوسيطة فيتوقع زيادتها خاصة في حالة عدم إمكانية الحصول عليها في سوق الدولة المضيفة. (نزار، 2007-2008، 95).

بعد أن تطرقتا لتأثير الاستثمار الأجنبي على التجارة الخارجية، نتناول فيما يلي الأثر المعاكس، حيث أن صادرات بلد ما تؤثر على تدفق الاستثمار الأجنبي إليه، إذ تعد الصادرات القوة الجديدة المحركة للنمو الاقتصادي، و ذلك لأن الاستثمار الأجنبي يتجه إلى القطاع الإنتاجي الذي يكون العائد الحدي فيه أعلى مقارنة بسائر القطاعات الإنتاجية الأخرى. (أحمد عمر، 2008، 132) كما أن التجارة الخارجية تضمن معرفة واسعة بالأسواق الأجنبية و محيطها الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي استعدادا للقيام بالاستثمار الأجنبي في هذه الأسواق، الأمر الذي يمكن فيما بعد الدول المستقبلية لهذه الاستثمارات من زيادة صادراتها. (Mehmet, 2012, 79, 80).

و لتحديد الأثر المتبادل بين الصادرات و الاستثمار الأجنبي أي المتغيرين محل الدراسة في الجزائر خلال الفترة 1990-2013 ارتأينا أن نحلل تطورات الاستثمار الأجنبي في الجزائر خلال فترة الدراسة ، ثم انتقلنا لقياس الأثر المتبادل بين الصادرات و الاستثمار الأجنبي في الجزائر.

المحور الثاني: تحليل تطورات الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر للفترة 1990-2013.

إنّ الإصلاحات الاقتصادية التي قامت بها الجزائر بما فيها تحرير التجارة الخارجية و استحداث الحوافز الضريبية لجلب الاستثمار الأجنبي المباشر، إضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في استحداث تغييرات على تدفقات الاستثمار الأجنبي إلى الجزائر خلال الفترة الممتدة (1990 - 2013) يتم تحليلها وفقا للجداول التالية:

الجدول (01)

تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر للجزائر في الفترة الممتدة (1990 - 2013).

السنوات	1990	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999	2000	2001
الاستثمار الأجنبي	40	80	30	0	0	0	270	260	607	292	280	1108
السنوات	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013
الاستثمار	1065	638	882	1145	1888	1743	2632	2746	2301	2581	1499	1691

مليون دولار أمريكي

المصدر: قاعدة بيانات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية(الانكتاد)، تقرير الاستثمار العالمي 2014.

يتضح من الجدول المبين أعلاه أن السنوات الأولى من الانفتاح الاقتصادي الجزائري 1990-1995 تميزت بغياب شبه تام للاستثمار الأجنبي في الجزائر، و يرجع السبب إلى الوضعية المعقدة التي مرت بها الجزائر على

المستوى الاقتصادي، السياسي و الاجتماعي فقد شهدت هذه المرحلة تفاقم أزمة المديونية الخارجية و ارتفاع خدمات الدين الخارجي إلى درجة تفوق إمكانيات السداد المتاحة، مما أجبر السلطات إلى إعادة جدولة المديونية الخارجية هذه الأخيرة صاحبها تنفيذ صارم لشروط التعديل الهيكلي التي وضعها صندوق النقد الدولي كما كان لتدهور الأوضاع الأمنية و عدم الاستقرار السياسي الأثر السلبي على قدوم الاستثمار الأجنبي ففي ظل عدم الاستقرار و ارتفاع درجة المخاطرة لا يمكن انتظار قدوم الاستثمار الأجنبي حتى لو تم تقديم أفضل الحوافز المالية و الإعفاءات الجبائية (بن حسين، 2006-2007، 5) إلا أن هذا الواقع بدأ يتحسن ابتداء من سنة 1996 حيث سجل مستويات متقاربة إلى غاية 2001، ثم تراجع بعد الأحداث العالمية التي جرت في 11 سبتمبر 2001 و ما نجم عنها من تداعيات و مخاوف من الاستثمار في المنطقة العربية، هذه المخاوف التي سرعان ما تلاشت لينتعث الاستثمار الأجنبي في الجزائر من جديد، إلا أنه انخفض بعد ذلك بسبب تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية 2008-2009، كما تراجع المستثمرون بعد إقرار القوانين الجديدة للاستثمار و صعوبة فهم التعديلات الجديدة التي أدخلت على قانون المالية 2009 الذي اعتمده الجزائر كحل لمواجهة الأزمة المالية الناتجة عن الأزمة الاقتصادية العالمية 2008-2009 إضافة إلى قيام الحكومة الجزائرية بتجميد بعض الصفقات القائمة، و مشكل البيروقراطية و معوقات الاستثمار الأجنبي المباشر، (كرامة، 2012، بدون صفحة) و من الجدير بالذكر أن الانخفاض الذي سجل بعد الأزمة الاقتصادية العالمية 2009 لم يكن ملحوظا لمحدودية العلاقات الاقتصادية الجزائرية مع العالم الخارجي.

إنّ التحسن الذي شمل تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الجزائر بصفة إجمالية هو انعكاس لانفتاح القطاعات الاقتصادية على الاستثمار الأجنبي المباشر، كما سيتم توضيحه لاحقا في تحليلنا للتوزيع القطاعي له، كما يمكن إرجاع هذا التحسن إلى غاية 2011 لجملة من الأسباب نذكر منها: (بن ياني، 2011-2012، 152).

- تحسن الأوضاع الاقتصادية الكلية.

- انخفاض حجم المديونية الخارجية و بالأخص ارتفاع احتياطات الصرف.
 - عقد اتفاقيات دولية في مجال حماية الاستثمار.
 - العلاقات السياسية و الاقتصادية التي أقامتها الجزائر على مستوى السياسة الخارجية لتحسين صورة وظروف الاستثمار في الجزائر.
- رغم توفر العوامل سالفة الذكر، إلا أن الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر تراجع سنتي 2012 و 2013 بسبب الأوضاع الأمنية في المنطقة العربية و إفريقيا: تونس ليبيا، مصر، مالي،.. و انعكاساتها السلبية على الوضع الأمني في الجزائر، كحادثة تقتورين.

وللتعمق أكثر في تحليلنا لواقع الاستثمار الأجنبي في الجزائر تمت الاستعانة بإحصائيات مختلفة نبدأها بالجدول رقم (2) المبين أدناه، و الذي يوضح لنا الأهمية النسبية للاستثمار الأجنبي المباشر، ومساهمته في الاستثمار الكلي.

الجدول(02)

توزيع الاستثمار الجزائري المنجز الأجنبي في مقارنة مع المحلي 2002-2013

مليون دينار جزائري

المشاريع الاستثمارية	عدد المشاريع	%	المبلغ	%
الاستثمار المحلي	52739	99,1	6050318	74,9
الاستثمار الأجنبي	468	0,9	2022164	25,1
المجموع	53207	100	8072482	100

Source :Agence national de développement des investissements sur le site <http://www.andi.dz/index.php/ar/bilan-des-investissements> 22/12/2014 .

يتضح من خلال الجدول (2) أنه رغم التدفق المتزايد للاستثمار الأجنبي في الجزائر، إلا أن مساهمته في الاستثمار الكلي تبقى ضعيفة، ويرجع ذلك بالأساس إلى مناخ الاستثمار، حيث أن الإجراءات المتخذة من طرف الجزائر فيما يتعلق بتحسينه تبقى غير كافية لاستقطاب الاستثمار الأجنبي في ظل المنافسة الموجودة على المستوى المغربي والعربي و الدولي لذلك يجب اتخاذ جملة من الإجراءات تتمثل في إعادة النظر في المؤسسات و كذا إزالة المعوقات البيروقراطية من خلال تشريعات تسهل عملية الاستثمار و تحفظ في نفس الوقت حق الدولة الجزائرية في الأرباح و القيمة المضافة المحققة في المشاريع الاستثمارية و نقل التكنولوجيا و التخفيض من حدة البطالة و رفع الكفاءة الإنتاجية للاقتصاد الوطني اعتمادا على جهاز مصرفي متطور و فعال يستحدث تقنيات مختلفة لمنح القروض و المساهمة في تحسين مستوى الخدمات المقدمة للمستثمرين الأجانب، إضافة لتطوير نشاط المؤسسات المكلفة بترقية الاستثمار، والأهم من كل ذلك هو انتهاج سياسة وطنية تسويقية شاملة للترويج للفرص الاستثمارية الحقيقية المتاحة في الجزائر، وذلك من خلال استهداف بعض القطاعات التي لا تتمتع بالميزات التي تستقطب الاستثمار الأجنبي، مثلا يمكن الاستغناء عن قاعدة 51/49 من أجل جلب المستثمر الأجنبي لمثل هذه القطاعات مقابل فرضها في قطاعات أخرى تتميز بحضور المزايا التنافسية، و ذلك لتعميم نشاط الاستثمار الأجنبي على جل القطاعات، خاصة و أن التوزيع القطاعي يبين تركيز الاستثمار الأجنبي في عدد قليل من القطاعات كما يتبين في الجدول المبين أدناه، والذي خص الألفية الثالثة على اعتبار أن تدفق الاستثمار الأجنبي كان جد ضعيف خلال فترة التسعينيات، وكان قطاع النفط هو المستهدف من طرف الأجانب رغم فتح رأس المال لعدة شركات عمومية في ظل برامج الخصوصية، حيث كان التوزيع القطاعي للاستثمارات الأجنبية لسنة 1998 كالتالي: (زغيب)

قطاع المحروقات	1,18 مليار دولار
قطاع الصناعة الكيماوية	160,6 مليون دولار

قطاع الغذاء الفلاحي	43 مليون دولار
قطاع الأشغال الكبرى	23 مليون دولار
قطاع الاستهلاك	9,1 مليون دولار
قطاع السكن	7 مليون دولار
قطاع المناجم	1 مليون دولار
قطاع الخدمات	02 مليون دولار

الجدول (03)

توزيع الاستثمار الأجنبي المباشر المنجز حسب الأنشطة للفترة 2002-2012

مليون دينار جزائري

قطاع النشاط	عدد المشاريع	%	المبلغ	%
الصناعة	220	56	599200	74
الخدمات	97	23	167118	21
البناء، الأشغال العمومية و الموارد المائية	63	15	12082	1
النقل	16	4	3991	0
الفلاحة	6	1	887	1
الصحة	5	1	6192	0
السياحة	3	1	13587	2
المجموع	410	100	803057	100

Source : Agence national de développement des investissements sur le site. <http://www.andi.dz/index.php/ar/bilan-des-investissements> 22/10/2014

يبين الجدول (03) أنّ الصناعة قد احتلت المرتبة الأولى من حيث قدرتها على جذب الاستثمار الأجنبي في الجزائر، خاصة لانفتاح المجال أمام الاستثمار الأجنبي المباشر في مجال المحروقات، هذا الأخير الذي يعد أكثر المجالات استقطاباً للاستثمار الأجنبي. حيث رجعت مجموعة من الشركات التي كانت تعمل في مجال البحث والتنقيب والاستغلال والتي غادرت السوق الجزائرية منذ سنة 1971 و هي فترة التأميمات مثل شركة ELF بالإضافة لشركات أخرى تعمل حالياً في مختلف أنشطة قطاع المحروقات مثل REPSOL ,CEPSA,BP,SHELL، إضافة إلى مجالات أخرى كصناعة الأدوية التي استقطبت عدداً من الشركات الأجنبية مثل Galaxo Smith Klin كما يضم قطاع الصناعة مشاريع تتعلق بتحلية مياه البحر تشارك فيها شركات أجنبية من أهمها ENIMA , CODESA , BESESA, SADYT, COBRA . والمجمع الإسباني ENIMA AQUALIA والشراكة مع PRIDESA, SNC LAVALIN الكنديتين، أما مجال الخدمات فقد احتل المرتبة الثانية، وخاصة الاتصالات، حيث تم إصلاح هذا القطاع من خلال قانون البريد والمواصلات السلكية و اللاسلكية عام 2000، و الذي فتح المجال للهاتف النقال للمنافسة «بيع الرخصة الثانية لشركة أوراسكوم المصرية و الرخصة الثالثة للشركة الكويتية للاتصالات، كما فتح المجال لتوطين العديد من البنوك الأجنبية في الاقتصاد الجزائري مثل سيتي بنك الأمريكي، بنك البركة السعودي، ABC بنك سوسيتي جنرال... الخ، و بعض شركات التأمين» استثمار قطري، و شركة هاناستار... الخ، وفي السياحة، بلغ عدد الاستثمارات السياحية الجزائرية العربية في عام 2001 أكثر من 683 مشروع تصل إلى 2,85 مليار دولار. (<https://books.google.dz/> books?id=xxWpDAAAQBAJ&pg=PT105&clpg=PT105&dq أما الاستثمارات في مجال البناء و الأشغال العمومية فقد نالت هي الأخرى نصيب لا بأس به من حيث عدد المشاريع نسبة لمجملة الاستثمارات الأجنبية في الجزائر نظراً للضرورة القصوى لترقية الهياكل القاعدية إضافة للاستثمارات الضخمة التي باشرت الجزائر في هذا المجال و أهمها الطريق السيار شرق غرب. و نتيجة لنقص تغطية الطلب على الإسمنت أنشأ مجمع أوراسكوم الصناعي المصري الشركة الجزائرية للإسمنت التي تستطيع أن توفر 4 مليون طن من الإسمنت

للسوق المحلي، بالإضافة إلى استثمار مجمع فرعون السعودي الذي اشترى 10 % من رأسمال المؤسسة العمومية للإسمنت في بني صاف (بوعشة-برجي، 2012، 68) أما قطاع النقل فقد استفاد من 4% من حيث عدد المشاريع الإجمالي المستفيد من الاستثمار الأجنبي و بالأخص مشروع الطريق السيار شرق غرب حيث تقدمت عدة شركات في جانفي 2006 بعدة عروض من بينها الشركة الصينية CSCE و المجمع الصيني CETIC و مجموعة BOUYGUES، و المجموعة الأمريكية بقيادة BECHTEL بالإضافة إلى COJAL اليابانية، و تبقى الزراعة و السياحة و التجارة مهمشة رغم أهميتهما البالغة في الاقتصاد.

أما التوزيع الجغرافي لهذه الاستثمارات فيوضحه الجدول رقم (4) المبين أدناه:

الجدول (04)

التوزيع الجغرافي للاستثمار الأجنبي في الجزائر للفترة 2002-2013

مليون دينار جزائري

المنطقة	عدد المشاريع	المبلغ
قارة أوروبا بما فيها الاتحاد الأوروبي	257	521531
فيما بينها الاتحاد الأوروبي	205	444845
آسيا	34	98580
أمريكا	10	61850
الدول العربية	154	1237112
إفريقيا	1	1000
أستراليا	1	2974
متعددة الجنسيات	11	99117
المجموع	468	2022164

Source : Agence national de développement des investissements sur le site <http://www.andi.dz/index.php/ar/bilan-des-investissements> 22/12/2014.

يتبين من الجدول أعلاه أن طبيعة الارتباط الاقتصادي «التجاري والمالي» مع بلدان أوروبا جعل هذه الخيرة تظفر بحصة الأسد من الاستثمار الأجنبي في الجزائر، تليها الدول العربية التي استفادت من انضمام الجزائر لاتفاقية المنطقة العربية الكبرى للتبادل الحر في حصولها على جزء هام من هذه الاستثمارات، تليها دول آسيا و الولايات المتحدة الأمريكية بنسب أقل أما الشركات متعددة الجنسيات فإن حضورها في الجزائر لا زال محتشم، و مما تجدر الإشارة إليه أن الاستثمارات الإفريقية تكاد تكون غير موجودة بسبب الصراعات الداخلية و ضعف اقتصادياتها، و على هذا فاحتمال التعاون الاقتصادي الجهوي ضعيف.

المحور الثالث: قياس الأثر المتبادل بين التجارة الخارجية والاستثمار الأجنبي في الجزائر

نحاول في هذا المحور البحث فيما إذا كانت هناك علاقة بين الصادرات الجزائرية وتدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر إلى الجزائر، و قياس مساهمة كل متغير في تطور الآخر خلال الفترة 1990-2013 و هي فترة الانفتاح الاقتصادي الجزائري، ونظرا لتعدد النماذج القياسية سنختار النموذج الأكثر حداثة واستعمالا ، وهو نموذج التكامل المتزامن الذي يمتاز بدراسة العلاقة بين المتغيرات في المدى الطويل، حيث نستهل هذا المحور باستعراض أدبيات التكامل المتزامن وعلاقة جرانجر السببية ، ثم نحاول تطبيق الطريقة الإحصائية لاختبار دور الاستثمار الأجنبي كمؤشر للاندماج في الاقتصاد العالمي في ترقية الصادرات الجزائرية، و كذا دور هذه الأخيرة في جلب الاستثمار الأجنبي باستعمال برنامج (EViews).

وفي ما يلي سنقوم بعرض الطريقة المتبعة لبناء النموذج و شرح مختلف المراحل لتوضيح كيفية إيجاد العلاقة الرياضية بين المتغيرين محل الدراسة: الاستثمار الأجنبي و الصادرات في الجزائر خلال الفترة 1990-2013، ثم نقوم بتحليل الاقتصادي لهذه العلاقة.

أولاً: الجزء النظري

إن استخدام الطريقة التقليدية في تقدير الانحدار والتي تبدأ بالتقدير، ثم الفحص للحصول على النتائج التي تدعم النظرية الاقتصادية قد تؤدي إلى نتائج مضللة، وقد تعوق عملية التقدير وبالتالي تؤثر على دقة التنبؤات، ونظراً لذلك فقد دعت الضرورة إلى فحص البيانات وتحليل الخصائص الإحصائية، لأن متغيرات الاقتصاد تؤثر وتتأثر ببعضها البعض، حيث يمكن أن تتأثر بيانات السلاسل الزمنية بوجود اتجاه عام يؤثر على جميع المتغيرات لاسيما المتغيرات الخارجية، مما يؤدي إلى صيغة عدم الاستقرار، وبالتالي نحصل على انحدار زائف يصعب التنبؤ به، لذلك لابد من العمل على استقرار هذه البيانات حتى نحصل على تقديرات مقبولة يمكن أن نبنى عليها تنبؤات مستقبلية. (مجتبى جعفر، 2012، 59)

اختبار استقرارية السلاسل الزمنية:

يعتبر اختبار جذر الوحدة أساسي لمعرفة استقرار السلاسل الزمنية موضع الدراسة وتحديد درجة تكامل هذه السلاسل، لما لها من أهمية قصوى للوصول إلى نتائج سليمة وتجنبنا لظاهرة الانحراف الزائف، والذي يقصد به أن العلاقة بين متغيرين أو عدد من المتغيرات الاقتصادية تعبر عن علاقة زائفة، ومن بين أهم الأساليب المستعملة هو اختبار ديكي فولر الموسع (ADF) و اختبار فيلبس بيرون (PP) : (بن يوب، 2014، 10)

اختبار جذر الوحدة لديكي فولر الموسع ((Dicky-Fuller 1979): ADF Augmented) يتضمن هذا الاختبار ثلاثة معادلات انحدار مختلفة: تحتوي الأولى على الحد الثابت والثانية على الحد الثابت والاتجاه العام، والثالثة بدون حد ثابت واتجاه عام، ويتم اختبار فرضية العدم $H_0: B=0$ ، التي تفترض وجود جذر الوحدة أو المتغير غير المستقر، و تقبل إذا كانت القيمة المحسوبة ل t أكبر من القيمة الحرجة، (زكية أحمد، 2014، 181) فإذا وجد أن السلسلة الأصلية ساكنة عند المستوى (0) فإنه يقال أنها متكاملة من الدرجة الصفر (0) أما إذا تطلب الأمر أخذ الفروق (1,2, ...) لجعلها مستقرة،

يجب إعادة اختبار جذر الوحدة، فإذا تم رفض الفرضية العديمة نقول أنها متكاملة من الدرجة (d I).

اختبار جذر الوحدة لفيلبس بيرون (PP): يختلف اختبار Phillips & Perron (1988) على الاختبار السابق، في كونه لا يحتوي على قيم متباطئة للفروق، ويأخذ في الاعتبار الارتباط في الفروق الأولى في السلسلة الزمنية باستخدام التصحيح غير المعلمي ويسمح بوجود متوسط لا يساوي صفرًا واتجاه خطي للزمن، إلا أنه يقوم على نفس صيغ اختبار ديكي فولر الموسع، كما يتم استخدام نفس القيم الحرجة.

إختبار التكامل المتزامن بين المتغيرات CO-INTEGRATION TEST

تم مراحل اختبار التكامل المتزامن وفق مرحلتين أساسيتين هما: (بن ياني، 2011-2012، 177)

اختبار درجة تكامل المتغيرات.

إن تكامل السلاسل من نفس الدرجة يعتبر شرط مهم لاختبار التكامل المتزامن، فإذا كانت السلاسل الزمنية غير متكاملة من نفس الدرجة فلا يمكن أن تكون بينها علاقة تكامل متزامن.

تقدير العلاقة في المدى الطويل

بعد تحقق الشرط الأول والمتمثل في تكامل السلسلتين من نفس الدرجة، نقوم بتقدير المتغيرين في المدى الطويل باستعمال طريقة المربعات الصغرى العادية (MCO)

$$Y = a_1 x_t + a_0 + \varepsilon_t$$

ولكي نتحقق علاقة التكامل المتزامن بين المتغيرين يجب أن تكون بواقفي هذا الانحدار y_t ، مستقرة أي:

$$e_t = y_t - \hat{a}_1 x_t - \hat{a}_0$$

ويتم اختبار استقرارية البواقي باستعمال أحد الاختبارات DF أو ADF، بحيث نقوم في البداية بتقدير معادلة مسار الانحدار لقيم البواقي والتي تأخذ الصيغة التالية:

$$e_t e_t = y_t - \hat{a}_1 x_t - \hat{a}_0 y_t - \hat{a}_1 x_t - \hat{a}_0$$

ثم نقوم بحساب إحصائية (DF) أو إحصائية (ADF)، ونقارنها مع القيمة الجدولية، فإذا كانت القيمة الإحصائية المحسوبة أصغر من الإحصائية الجدولية، فإننا نرفض الفرضية العديمة (OH) و عليه فإن البواقي مستقرة، وهو ما يدل على وجود علاقة تكامل متزامن بين المتغيرات المدروسة، أما إذا كانت قيمة الإحصائية المحسوبة أكبر من الإحصائية الجدولية فإننا نقبل الفرضية العديمة، أي أن البواقي غير مستقرة، وبالتالي عدم وجود علاقة تكامل متزامن بين المتغيرات المدروسة.

ليبيان وجود علاقات طويلة الأجل بين المتغيرين نستعمل برنامج EViews7 الذي يعتمد على نتائج اختبار الجذر الكامن maximum eigenvalues test و اختبار الأثر trace test. (زكية أحمد، 2014، 181)

اختبار جرانجر السببية GRANGER CAUSALITY TEST

يكون تحليل الانحدار قائما على أساس اختبار علاقة اعتماد أحد المتغيرات (المتغير التابع) على عدد من المتغيرات التوضيحية، حيث أن مفهوم جرانجر للسببية يتضمن الكشف الإحصائي عن اتجاه العلاقة السببية بين المتغيرات، (ندوى خزعل، 2011، 270-271) علما أن اختبار جرانجر يتعلق بالعلاقة قصيرة الأجل بين هذه المتغيرات. (زكية أحمد، 2014، 183)

تجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة للاختبارات السابقة يجب التأكد من خلو الحد العشوائي من الارتباط الذاتي من خلال اختبار فترة التباطؤ Lag Length Criterion. (زكية أحمد، 2014، 183)

بعد عرضنا للجانب النظري، سنطبق فيما يلي حيثاته المتمثلة في مختلف مراحل الطريقة المعتمدة في الدراسة التطبيقية، حتى تتمكن من

بناء النموذج الرياضي الذي يصف العلاقة بين المتغيرين محل الدراسة.

ثانياً: الدراسة التطبيقية

تحليل البيانات و تقدير النموذج

تم الاعتماد في التحليل على السلاسل الزمنية و استخدام اختبارات السببية ضمن إطار نموذج متجه الانحدار الذاتي (VAR)، و ذلك بناء على نتائج اختبار سكون السلاسل الزمنية (ADF) و (pp) واختبار التكامل المشترك (CO-INTEGRATION TEST) و (GRANGER TEST) لسلسلي الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1990 إلى غاية 2013 المدونة أدناه.

الجدول (05)

الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر للفترة الممتدة (1990 – 2013).

مليون دولار أمريكي

السنوات	1990	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999	2000	2001
الاستثمار الأجنبي	40	80	30	0	0	0	270	260	607	292	280	1108
الصادرات	13462	12723	12130	11010	9580	10940	13970	14890	10880	13040	22560	2000
السنوات	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013
الاستثمار الأجنبي	1065	638	882	1145	1888	1743	2632	2746	2301	2581	1499	1691
الصادرات	20010	26040	34090	48841	57304	63424	82080	48140	60679	76507	75373	68242

المصدر: قاعدة بيانات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الانكتاد)، تقرير الاستثمار العالمي 2014.

تمت معالجة البيانات باستخدام برمجية الاقتصاد القياسي Eviews7 حسب الأساليب الآتية:

اختبار سكون السلاسل الزمنية:

تعد السلاسل الزمنية ساكنة عندما يكون الوسط الحسابي والتباين والتباين المشترك لها في حال ثبات، أي لا يعتمد على الزمن، وهذا يعني أنها لا تحوي اتجاهها صاعداً أو هابطاً خلال الزمن، إذ لا نستطيع تطبيق إجراءات معيارية على نموذج يحتوي على متغير غير ساكن، وذلك لأن السلاسل الزمنية غير الساكنة تنتج مشكلة الانحدار الزائف *superious regression* لذلك ينبغي التحقق من سكون السلسلة الزمنية قبل استخدامها في تقدير أي نموذج، ويتم عادة تحويل السلسلة غير الساكنة إلى سلسلة ساكنة عن طريق أخذ الفرق الأول أو الفرق الثاني... الخ، إلى أن يتم الوصول إلى سلسلة ساكنة، كما يتوجب تحديد عدد فترات الإبطاء لإزالة أي ارتباط بين المتغيرات، ويتم تحديد عدد فترات التباطؤ الزمني المثلى لضمان خلو الحد العشوائي من الارتباط الذاتي من خلال عدد فترات التباطؤ الزمني (*lag length criterion*) (زكية أحمد، 2014، 183) للصادرات والاستثمار الأجنبي في الجزائر للفترة 1990-2013 اعتماداً على اختباري (*Augmented Dickey fuller*) و (*Perron et Philips*) للتأكد من وجود أو خلو جذر الوحدة، إذ ترفض فرضية العدم "وجود جذر أحادي: H_0 « إذا كانت إحصائية (T) أقل من القيمة الحرجة، وبالتالي عدم وجود الجذر الأحادي ومنه السلسلة الزمنية مستقرة. وقد كانت النتائج بالنسبة لسلسلة الصادرات والاستثمار الأجنبي المباشر عند المستوى (*level*)، والفروقات الأولى باستخدام الحد الثابت (*intercept*)، والمقطع والاتجاه العام (*trend and intercept*)، ومن غيرهما (*none*) كما يلي:

الجدول (6)

اختبار ADF لسلسلة E

النتيجة	T tab			T cal	الدرجة	النموذج
	%10	%5	%1			
Tcal>T tab	-2.63	-2.99	-3.76	-0.67	المستوى	النموذج الأول Intercept
Tcal<T tab	-2.64	-3.00	-3.75	-5.67	الدرجة 1	
Tcal>T tab	-3.24	-3.62	-4.41	-2.72	المستوى	النموذج الثاني Intercept and trend
Tcal<T tab	-3.25	-3.63	-4.44	-5.58	الدرجة 1	
Tcal>T tab	-1.60	-1.95	-2.66	0.46	المستوى	النموذج الثالث None
Tcal<T tab	-1.60	-2.95	-2.67	-5.38	الدرجة 1	

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على نتائج البرنامج.

الجدول (7)

اختبار pp لسلسلة E

النتيجة	T tab			T cal	الدرجة	النموذج
	%10	%5	%1			
Tcal>Ttab	-2.63	-2.99	-3.75	-0.44	المستوى	النموذج الأول Intercept
Tcal<Ttab	-2.64	-3.00	-3.76	-6.05	الدرجة 1	
Tcal>Ttab	-3.24	-3.62	-4.41	-2.63	المستوى	النموذج الثاني Intercept and trend
Tcal<Ttab	-3.25	-3.63	-4.44	-6.78	الدرجة 1	
Tcal>Ttab	-1.60	-1.95	-2.66	0.83	المستوى	النموذج الثالث None
Tcal<Ttab	-1.60	-1.95	-2.67	-5.44	الدرجة 1	

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على نتائج البرنامج

بناء على نتائج الجداول 6-9، يمكننا القول أن السلاسل لم تكن مستقرة عند المستوى، لذلك قمنا باختبار جذر الوحدة عند الفروقات الأولى حيث أصبحت متغيرات الدراسة ساكنة عند مستوى معنوية 1٪، 5٪، 10٪.

كما تم اختبار فترة التباطؤ لضمان خلو الحد العشوائي من الارتباط الذاتي، وأظهرت نتائج الاختبار أن طول فترة التباطؤ الأنسب هو سبع فترات اعتماداً على المعايير التالية:

(HQ)، (LR)، (FPE)، (SC)، (AIC) كما هو موضح في شاشة البرنامج:

VAR Lag Order Selection Criteria

Endogenous variables: DE DFDI

Exogenous variables: C

Date: 12/11/14 Time: 23:01

Sample: 1990 2013

Included observations: 16

Lag	LogL	LR	FPE	AIC	SC	HQ
0	-294.9987	NA	4.55e+13	37.12484	37.22141	37.12978
1	-292.2528	4.462089	5.37e+13	37.28160	37.57132	37.29644
2	-291.1286	1.545827	7.96e+13	37.64107	38.12394	37.66580
3	-285.9965	5.773538	7.51e+13	37.49957	38.17558	37.53418
4	-280.1109	5.149947	7.03e+13	37.26386	38.13302	37.30837
5	-267.6455	7.790855	3.38e+13	36.20569	37.26800	36.26009
6	-257.9367	3.640804	3.22e+13	35.49209	36.74754	35.55638
7	80.34790	42.28557*	0.000143*	-6.293487*	-4.844884*	-6.219307*

* indicates lag order selected by the criterion

LR: sequential modified LR test statistic (each test at 5% level)

FPE: Final prediction error

AIC: Akaike information criterion

SC: Schwarz information criterion

HQ: Hannan-Quinn information criterion

ولدراسة العلاقة بين المتغيرين على المدى القصير نستعمل اختبار جرانجر

- اختبار جرانجر: يمكننا هذا الاختبار من رؤية العلاقة الحركية قصيرة الأجل بين المتغيرين، وكانت نتائج الاختبار كما يلي:

Pairwise Granger Causality Tests

Date: 12/11/14 Time: 23:27

Sample: 1990 2013

Lags: 7

Null Hypothesis:	Obs	F-Statistic	Prob.
DFDI does not Granger Cause DE	16	20.5043	0.1685
DE does not Granger Cause DFDI		62.0442	0.0975

بما أن احتمال الفرضية العديمة القائلة بأن «DFDI» أي الاستثمار الأجنبي المباشر لا يؤثر في «DE» أي الصادرات يساوي 0,16، أي أنه أكبر من 0,05، واحتمال الفرضية العديمة القائلة بأن الصادرات لا تؤثر في الاستثمار الأجنبي يساوي 0,09، أي أنه أكبر من 0,05، علما أنه تقبل الفرضية العديمة إذا كان احتمالها أكبر من 0,05، و على ذلك فإنه لا توجد علاقة بين المتغيرين في كلا الاتجاهين في المدى القصير.

بعد إثبات عدم وجود علاقة بين المتغيرين على المدى القصير، نحاول اختبار العلاقة على المدى الطويل باستعمال اختبار التكامل المشترك.

اختبار التكامل المشترك CO-INTEGRATION TEST

بما أنّ متغيري الدراسة ساكنين عند الفرق الأول فقد تكون بينهما علاقة تكاملية أو أكثر و إذا حصل ذلك فسوف تكون هنالك علاقة خطية ساكنة و طويلة الأجل بين المتغيرين (زكية أحمد، 2014، 183) و من ثم فإن الخطوة الثالثة في التحليل هي إجراء اختبار التكامل المشترك و تحديد عدد متجهات التكامل المشترك لكل نموذج اعتمادا على اختبار الجذر الكامن λ_{max} (MAXIMUM EIGENVALUES TEST) و اختبار الأثر (TRACE) λ_{trace} (TEST)، و كانت النتائج مدونة كما يلي:

Date: 12/11/14 Time: 23:36

Sample: 1990 2013

Included observations: 21

Series: DE DFDI

Lags interval: 1 to 1

Selected (0.05 level*) Number of Cointegrating Relations by Model

Data Trend:	None	None	Linear	Linear	Quadratic
Test Type	No Intercept No Trend	Intercept No Trend	Intercept No Trend	Intercept Trend	Intercept Trend
Trace	1	0	1	0	0
Max-Eig	1	0	0	0	0

*Critical values based on MacKinnon-Haug-Michelis (1999)

Information Criteria by Rank and Model

Data Trend:	None	None	Linear	Linear	Quadratic
Rank or No. of Ces	No Intercept No Trend	Intercept No Trend	Intercept No Trend	Intercept Trend	Intercept Trend

	Log Likelihood by Rank (rows) and Model (columns)				
0	-386.0509	-386.0509	-385.9305	-385.9305	-385.0656
1	-379.3905	-378.9309	-378.8225	-378.1252	-377.3272
2	-377.7225	-377.0204	-377.0204	-376.0342	-376.0342

	Akaike Information Criteria by Rank (rows) and Model (columns)				
0	37.14771	37.14771	37.32671	37.32671	37.43482
1	36.89434*	36.94580	37.03071	37.05955	37.07878
2	37.11643	37.24004	37.24004	37.33659	37.33659

	Schwarz Criteria by Rank (rows) and Model (columns)				
0	37.34666	37.34666	37.62515	37.62515	37.83273
1	37.29225*	37.39345	37.52811	37.60668	37.67565
2	37.71330	37.93639	37.93639	38.13242	38.13242

اتضح من هذا الاختبار وجود علاقة واحدة خاصة بالنموذج الذي ليس به ثابت ولا اتجاه عام.

تقدير العلاقة بين المتغيرين

تم تقدير العلاقة بين المتغيرين اعتمادا على طريقة المربعات الصغرى
وفقا للنموذجين التاليين:

$$2155.99103425 + 3.14488565247*DFDI = DE \quad \dots\dots\dots(1)$$

Dependent Variable: DE
Method: Least Squares
Date: 03/08/15 Time: 23:49
Sample (adjusted): 1991 2013
Included observations: 23 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	2155.991	2238.516	0.963134	0.3464
DFDI	3.144886	5.265657	0.597245	0.5567
R-squared	0.016702	Mean dependent var		2381.739
Adjusted R-squared	-0.030122	S.D. dependent var		10425.54
S.E. of regression	10581.40	Akaike info criterion		21.45452
Sum squared resid	2.35E+09	Schwarz criterion		21.55326
Log likelihood	-244.7270	Hannan-Quinn criter.		21.47936
F-statistic	0.356701	Durbin-Watson stat		2.445240
Prob(F-statistic)	0.556730			

$$59,1335028695 + 0,00531086955097*DE = DFDI \quad \dots\dots\dots .2$$

Dependent Variable: DFDI
Method: Least Squares
Date: 03/08/15 Time: 23:51
Sample (adjusted): 1991 2013
Included observations: 23 after adjustments

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	59.13350	93.10986	0.635094	0.5322
DE	0.005311	0.008892	0.597245	0.5567
R-squared	0.016702	Mean dependent var		71.78261
Adjusted R-squared	-0.030122	S.D. dependent var		428.4293
S.E. of regression	434.8339	Akaike info criterion		15.07075
Sum squared resid	3970691.	Schwarz criterion		15.16949
Log likelihood	-171.3136	Hannan-Quinn criter.		15.09558
F-statistic	0.356701	Durbin-Watson stat		2.453916
Prob(F-statistic)	0.556730			

كما تم اختبار استقرارية البواقي باستعمال اختبار ADF ، وكانت النتائج كما يلي:

جدول (10)

اختبار استقرارية البواقي بـ ADF

$$DFDI = 3,14DE + 2155,99$$

النتيجة	T tab			T cal	الدرجة	النموذج
	%10	%5	%1			
Tcal<Ttab	-2.64	-3.00	-3.76	-5.69	المستوى	النموذج الأول Intercept
Tcal<Ttab	-3.25	-3.63	-4.44	-5.62	المستوى	النموذج الثاني Intercept and trend
Tcal<Ttab	-1.60	-1.95	-2.67	-5.83	المستوى	النموذج الثالث None

المصدر: من إنجاز الباحثة بناء على نتائج البرنامج.

جدول (11) اختبار استقرارية البواقي بـ ADF

$$DFDI = 0,005DE + 59,13$$

النتيجة	T tab			T cal	الدرجة	النموذج
	%10	%5	%1			
Tcal<Ttab	-2.64	-3.00	-3.76	-5.64	المستوى	النموذج الأول intercept
Tcal<Ttab	-3.25	-3.63	-4.44	-5.53	المستوى	النموذج الثاني Intercept and trend
Tcal<Ttab	-1.60	-1.95	-2.67	-5.78	المستوى	النموذج الثالث None

المصدر: من إنجاز الباحثة بناء على نتائج البرنامج.

نتائج الدراسة القياسية

قمنا في هذا البحث باختبار وجود علاقات طويلة المدى، و علاقات السببية بين تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر و الصادرات في الجزائر للفترة 1990-2013.

في أول الأمر، كانت السلاسل الزمنية للاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر غير مستقرة، و قمنا بمفاضلة المعطيات للحصول على سلاسل زمنية مستقرة.

- رغم استقرارية البواقي، إلا أن اختبار جوهانسون للتكامل المشترك أثبت وجود تكامل مشترك بين متغيرات الدراسة في حالة واحدة.

- فحصت الدراسة علاقة جرانجر السببية بين المتغيرات ضمن نموذج متجه الانحدار الذاتي، فأظهرت عدم وجود علاقة سببية بين متغيرات الدراسة.

- للاستثمار الأجنبي في الجزائر أثر إيجابي على الصادرات، حيث أنه إذا زاد الاستثمار الأجنبي المباشر بوحدة واحدة فإن الصادرات سترتفع بمقدار 3,14 وحدة و هو لا يتنافى مع نتائج اختبار جوهانسن.

- للصادرات أثر إيجابي لكن ضعيف جدا على الاستثمار الأجنبي، حيث أنه إذا زادت الصادرات بوحدة واحدة فإن الاستثمار الأجنبي يزيد ب 0,005 وحدة.

الخاتمة

أظهرت نتائج الدراسة التحليلية و القياسية أن سياسة الجزائر لجلب الاستثمار الأجنبي بغية الزيادة في الصادرات و المنتهجة خلال الفترة 1990-2013، حكيمة، بالنظر للزيادة في تدفقات الاستثمار الأجنبي التي صاحبها زيادة في الصادرات وفقا للعلاقة الرياضية المتحصل عليها، لكن ذلك لم يرق إلى تنوعها خارج المحروقات، إذ أن مساهمة الاستثمار الأجنبي في ترقية الصادرات الجزائرية تنحصر خاصة في مجال الصناعة، و يرجع ذلك لكون هذا الأخير يتركز في المجالات ذات الميزة النسبية، و يتجه عادة نحو القطاع الإنتاجي الذي يكون العائد الحدي فيه أعلى مقارنة بسائر القطاعات الإنتاجية الأخرى، و من جهة أخرى فإنه رغم التحسن المتواصل في استقطاب الاستثمار الأجنبي، إلا أن مساهمته لا زالت ضئيلة جدا مقارنة بمساهمة الاستثمار المحلي في الاستثمار الإجمالي، و يرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى طبيعة الصادرات الجزائرية التي تفتقر للميزة النسبية التي تحفز تدفق الاستثمار الأجنبي، لذلك بقي هذا الأخير ضعيفا رغم الحوافز الضريبية الممنوحة له.

الاقتراحات

- الاعتماد على الاستثمار المحلي بالدرجة الأولى، و يكون ذلك بالتنسيق بين الاستثمار الخاص و العام لتأهيل الإنتاج الجزائري، و خلق الميزات النسبية التي من شأنها جلب الاستثمار الأجنبي إلى مختلف المجالات، الأمر الذي من شأنه تنويع الصادرات الجزائرية خارج المحروقات.
- اختيار الأشكال المناسبة للاستثمار الأجنبي التي تسمح برفع مستوى الإنفاق الاستثماري الذي يتيح الفرصة لتجديد و تحديث التقنيات المستعملة و أساليب التنظيم و التسيير و المراقبة و التخطيط، و من ثم الإنتاج بالموصفات الدولية التي من شأنها زيادة الصادرات و تنوعها، والذي يكون بدوره محفزا لجلب الاستثمار الأجنبي.

المراجع

1. أحمد عمر دينا، أثر الصادرات على تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر في دول عربية مختارة، مجلة تنمية الرافدين، العدد 76(29)، 2008. منقول من الموقع:

<http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=58083>

2. إيمان عطية ناصف، هشام محمد عمارة، مبادئ الاقتصاد الدولي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 2009.

3. بن حسين ناجي، دراسة تحليلية لمناخ الاستثمار في الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير، جامعة منتوري. دراسة منشورة على الموقع:

www.cba.edu.kw.pdf

4. كرامة مروة، رايس حدة، تقييم التجربة الجزائرية في مجال جذب الاستثمار الأجنبي المباشر في ظل تداعيات الأزمة المالية العالمية-دراسة تحليلية، مجلة أبحاث اقتصادية و إدارية، العدد 12، ديسمبر 2012، بسكرة، الجزائر منقول من الموقع:

<http://revues.univ-biskra.dz/index.php/rem/article/view/1089>

5. بن ياني مراد، سعر الصرف و دوره في جلب الاستثمار الأجنبي المباشر دراسة قياسية- حالة الجزائر- مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير و العلوم التجارية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2011-2012.

6. زغيب شهرزاد، الاستثمار الأجنبي المباشر في الجزائر واقع و آفاق، مجلة العلوم الإنسانية-جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثامن. منقول من الموقع:

http://www.webreview.dz/IMG/pdf/_-5-3.pdf

7. عبد الكريم بن عراب، كورتل فريد، أشكال و محددات الاستثمار الأجنبي المباشر مع الإشارة لواقعه بالدول العربية و بعض البلدان النامية، دراسة منشورة على الموقع:

www.kantakji.com/media/5105/r339.doc

8. بن يوب لطيفة، التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي، ص 10. دراسة منشورة على الموقع:

<https://www.gulfpolicyies.com> 03/11/2014

9. دياب محمد، التجارة الدولية في عصر العولمة، دار المنهج اللبناني الدراسات و التوثيق، بيروت 2010.

10. زكية أحمد مشعل، عماد أحمد أبو دلو، أثر عرض النقد في الإنتاج و مستوى الأسعار في الأردن -دراسة قياسية- المجلة الأردنية للعلوم الاقتصادية، مجلد1، العدد2، 2014.

11. لوعيل بلال، أثر الاستثمار الأجنبي على النمو الاقتصادي في الجزائر للفترة 1995-2007، مجلة الأبحاث الاقتصادية و الإدارية، العدد04، 2008.

12. مجتبي جعفر عباس، محددات طلب القطاع الصناعي على الكهرباء في السودان للفترة 1990 إلى 2010، مذكرة ماجستير في الاقتصاد التطبيقي (تخصص قياسي)، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، 2012.

13. ندوى خزعل رشاد، استخدام اختبار جرانجر في تحليل السلاسل الزمنية المستقرة، المجلة العراقية للعلوم الإحصائية، العدد 19، 2011.

14. نزار رفيق، الاستثمار الأجنبي المباشر و النمو الاقتصادي- دراسة حالة تونس الجزائر المغرب- مذكرة ماجستير، تخصص اقتصاد دولي، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2007-2008.

15. قاعدة بيانات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الانكتاد)، تقرير الاستثمار العالمي 2014.

1. Source : Agence national de développement des investissements sur le site . <http://www.andi.dz/index.php/ar/bilan-des-investissements> 22/10/2014
2. (Mehmet eryigit, the long run relationship between foreign direct investment, exports, and gross domestic product : panel data implication, theoretical and applied economics volume XIX 2012 no.10(575) ,p.p :79,80)
3. Elena pelinescu, Magdalena radulescu, the impact of foreign direct investment on the economic growth and countries' export potencial, roman journal of economic forecasting-4/2009. Sur le site mail.ipe.ro/rjef/rjef4-09/rjef4-09-9-pdf.